سلطان ناجي
مُؤرخ ومُفكّر يمني
www.sultannagi.com

سلطان ناجي
مُؤرخ ومُفكر يمني
www.sultannagi.com

اليمن في المؤلفات الغربية
(نماذج مختارة)

سلطان ناجي . عدن، مجلة الثقافة الجديدة، العدد التاسع، السنة الأولى، ١٩٧١ م.

سلطان ناجي
مؤرخ ومُفكّر يمني
www.sultannagi.com

سلطان ناجي

نماذج مختارة

– لودفيك دي فارتيما ،

VARTHEMA, L. DI
Travels (Hakluyt series (translated by J.W. Jones (London, 1863)

إيطالي من بولونيا أبحر من مدينة البندقية عام ١٥٠٠ مدفوعاً برغبته الشديدة «في تغيير مناظر بلاده ومحل إقامته. ولكي يرى بلاداً جديدة ويتعلم أشياء جديدة».

نزل مصر ثم أبحر إلى بيروت فحلب فدمشق حيث تعلم اللغة العربية. ثم سافر متخفياً مع قافلة المماليك لحراسة الحجاج تضم ستين الف محارباً وخمسة وثلاثين الفاً من الجمال.

وقد أستطاع أن يصل عدن ١٥٠٣ «عاصمة العربية السعيدة وأمنع مدينة رأيتها في حياتي على وجه البسيطة» وقد وجدها مدينة مسورة تحرسها الجبال والحصون وميناء تلتقي فيه سفن الشرق والغرب. وقد لاحظ فارتيما أن السفن الشراعية الراسية في الميناء تنزع عنها الأشرعة وتؤخذ منها المراسي وذلك حتى لا تتمكن من الأبحار قبل دفع الفوائد والمكوس.

قبض على فارتيما بتهمة التجسس للبرتغاليين الذين بدأوا في ذلك التاريخ يحومون في مياه الخليج. ومما زاد الطين بلة أن شهد عليه بحاران كان البرتغاليون يطاردونهما في مياه الخليج. فكبل بالقيود وزج به في السجن. ومن عدن حمل على ظهر أحد الجمال إلى مدينة تعز ليقابل السلطان الطاهري فأنكر التهمة الملصقة به وأدعى الإسلام. فأمره السلطان النطق بالشهادتين ولكنه كان منهوك القوى ولم يستطع، نظراً لضعف جسمه وفقدان ذاكرته، النطق بهما بطلاقة. وهو في ذلك لا يعلم فيما إذا كان ذلك حدث بارادة الله أم نتيجة للخوف الذي تملكه.

سلطان ناجي
مؤرخ ومفكر يمني
www.sultannagi.com

أودع السجن من جديد ففكر فى حيلة. وكان أن تصنع الجنون ليطلق سراحه فى النهار وكان ما أراده. إلا أن إحدى زوجات السلطان رأته وهو يعرى جسده فأخذتها الشفقة لأنها لم تر فى حياتها جسداً أشد بياضاً من جسده. فكانت تقوم بزيارته كل ليلة وتحمل اليه معها أطيب المأكولات وأفخر العطور. يقول فارتيا «بدأت السلطانة تتنازل بالنزول إلى الغرفة الأرضية التى كنت فيها كل ليلة . . وكانت تحمل لى معها دائماً مأكولات طيبة. ولما كانت تدخل حيث كنت مسجوناً كانت تناديني بقولها : تعال هنا يا اودفيك ثم تسألنى قائلة أتشعر بالجوع ؟ وكنت من شدة جوعى أقول لها نعم وكنت أتجه نحوها بقميص ولكنها كانت تقول لى : «لا ليس هكذا بل أخلع عنك قميصك» وكنت أخلع قميصى وأعرى الجزء الأعلى من جسدى لإرضائها وكانت المسكينة تبقى ساعتين وهى تتأمل جسدى . . وهى تبكى وتنتحب وتتضرع إلى الله قائلة : «يا الهى سبحانك اللهم وبحمدك جلت قدرتك. أنك خلقت هذا الرجل أبيض كأنه قطعة من الشمع أما زوجى فقد خلقته أسود فارزقنى مولودا أبيض كهذا الرجل». وتحصل فارتيا على ما أراده فقد توسطت له عند السلطان وأطلق سراحه حيث عاد إلى عدن. ومن عدن زار مدناً كثيرة مجاورة. يقول فارتيا أنه شاهد كميات لا تحصى لها عدداً من النخيل فى لحج. وبالرغم من أن لحج مكتفية بجميع المواد إلا أنه كان فيها نقص فى الأحطاب.

وفى يريم شاهد رحالتنا أنواعا من الأغنام الخاصى السمينة الكبيرة الذيول التى يزن ذيل الواحد منها الأربعة والأربعين رطلا. أما فى صنعاء فبجانب كثرة القرود فقد أدهشه عادة أحد أبناء السلطان الغريبة الذى كان «إذا ما أشتد هياجه وغضبه يعض الناس ويأكل من لحومهم حتى يشبع»

ـ الفونسو البوكرك ،

ALFANSO D AL BOQUERQUE
Commentaries (Hakluyt series) trans and edited by W. de Gray Birch (London 1877)

بالرغم أن البوكرك القائد البرتغالى لم يفلح فى أخذ عدن عنوة إلا أنه ألحق خسائر كبيرة فى السفن الراسية فى الميناء. إن هذه المذكرات وصف مطول لمحاولات البوكرك المستميته فى أخذ عدن عام ١٥١٣ ، وتسجيل رائع لكفاح السكان البطولى فى وجهه.

وصف البوكرك عدن بأنها مدينة ذات بيوت عالية جميلة تحيط بها الأسوار من كل مكان. أما ماء المدينة فيجلب اليها من خارجها وقد لاحظ أن المدر هو الانتاج الرئيسى للمدينة.

بعد أن فشل البوكرك فى أخذ عدن أتجه بسفنه نحو باب المندب، وهكذا أصبح أول برتغالى يبحر فى تلك الجهات . لذلك نراه يأمر باقامة إحتفال لهذه المناسبة . . مناسبة الدخول إلى البحر الأحمر، فقد زينت السفن بالأعلام وأطلقت المدافع وأقيمت الحفلات.

والبوكرك يفخر باعمال القرصنة التى كانت تمارسها سفنه فى تلك المياه.

عاد البوكرك بعد ذلك إلى عدن وقام بغزوة فجائية فى جوف الليل ذهب ضحية لها ما يقارب الثلاثين من الحراس وأحرقت السفن الراسية.

ويذكر البوكرك هنا كيف أن إحدى سفنه غرقت فى إحدى السواحل وكتب لأحد بحارتها فقط فى النجاة. وقد أستطاع الوصول إلى المدينة المنورة وبينما كان واقفاً مع غيره من المسلمين فوق قبر الرسول أصابه «وس دينى فقام على أثره يشتم الرسول (صلعم) شتما مقذعاً ومما قاله أنه (نبى الشيطان) وتمنى أن ينقلب قبره فى الحال إلى كنيسة للمسيحيين !

سلطان ناجي
مؤرخ ومفكر يمني
www.sultannagi.com

– جـون جـوردين ،

JOHN JOURDAIN
Journal (Hakluyt series) ed by William Foster, London, 1905

كانت السفينة الإنجليزية (أسينشن) أول باخرة تزور عدن عام ١٦٠٩ وكان جونْ جوردين أحد بحاريها الكبار. وقد كتب هذا البحار أن يخلف لنا مذكرات عن رحلته بلغة القرن السابع عشر وبأسلوب ركيك جداً.

بعـد أن رست السفينة التجارية فى الميناء قابل الوالى التركى فى عدن، وكان يونانى الأصل، ربانها فأحسن إستقباله لكنها لم يصلا إلى إتفاق بشأن العوائد وضرائب البضاعة التى على السفينة، فاحتجزت السفينة فى الميناء واتفق الطرفان على إرسال (جوردين) إلى العاصمة صنعاء لمقابلة الباشا التركى من أجل تحديد العشور. وقد كانت فرصة لجوردين أن يزور مدناً كثيرة فى الداخل. ونتيجة لهذه الرحلة كتب مذكراته هذه.

عندما يصف جوردين عدن ، يذكر فيما يذكر الحالة المؤسفة التى وصلت اليها. فعظم بيوتها مهدمة ، أما الميناء فلا تزيد السفن المترددة عليه عن ثلاث فى العام. لقد كان السكان الأصليون يعيشون حياة ذل تحت عساكر السلطان التركى لا يسمح لهم باقتناء السلاح أو بيعه. ويذكر (جوردين) كيف أن الوالى حذر ربان السفينة الإنجليزية من بيع الأسلحة على الأهالى لأن ذلك سيكلف حياة من يشتريها. ويستغرب (جوردين) كيف أن حامية تركية لا تزيد عن أربعين جندياً تستطيع أن تتحكم فى جميع السكان الأصليين.

من الملاحظات القيمة التى لاحظها (جوردين) هو أن معظم التجارة فى صنعاء وبقية المدن المهمة كانت فى أيدى (البانيان) فى ذلك التاريخ. كذلك يروى (جوردين) قصة دجال برتغالى استوطن تعز وادعى إمتلاك قوات خارقة فى معالجة المرضى وكيف أستطاع بمكره ودهائه إبتزاز أموال الناس بتلك الطريقة.

– كارستن نيبـور ،

CARSTON NIEBUHR. *Travels through Arabia*
2 (Vols) Edinburgh, 1792. trans. R. Heron.

تعتبر رحلة نيبور أول الرحلات العلمية التى زارت اليمن. فقد أوفد الملك فردريك الخامس عام ١٧٦١م بعثة دانمركية وكانت مكونة من علماء عديدين فى معظم أنواع المعرفة. وقد كتب لهذه البعثة التى جاءت إلى اليمن أن تفقد كل أعضائها ولم يبق منهم إلا نيبور الضابط الصغير المختص بعمل الخرائط. وقد كتب نيبور ملاحظاته ودراساته فى كتاب أختصر إلى الإنجليزية عام ١٧٩٢. ولا تزال معلوماته مرجعاً من المراجع الأساسية لدراسة أحوال اليمن لأن البعثة التى صحبها بلغت أماكن فى اليمن لم تطأها قدم أوروبى من قبل أو من بعد. وتعتبر ذات قيمة جغرافية كبيرة.

ان من يقرأ كتاب نيبور ليحس بمدى سيطرة الكاتب على عواطفه أثناء إصدار الأحكام، ويعجب بموضوعيته وعدم تحيزه، وقد لاحظ نيبور عند وصوله ميناء اللحيه «أن عرب اليمن أكثر تمدناً من غيرهم ومن جملتهم سكان مصر». وكان أعضاء البعثة إذا ما سئلوا عن سبب مجيئهم إلى اليمن، يجيبون أن السبب هو حاجتهم إلى التمارين الرياضية وتغيير الهواء.

سلطان ناجي
مؤرخ ومفكر يمني
www.sultannagi.com

وفى المخا فجعت البعثة بموت فسون هسافن أحد أعضاء البعثة. ويذكر نيبور هنا كيف أن قبطان سفينة إنكليزية كانت راسية فى الميناء أمر ستة من بحارته بمساعدة أعضاء البعثة فى دفن فقيدهم فى المقبرة المخصصة للأوروبيين هناك.

ويتكلم نيبور عن اليهود فى اليمن ويقرر بأنهم كانوا يعاملون باحتقار على الإجمال ولكنه يذكر واحداً منهم واسمه (أورباكى) أستطاع أن يحصل على رضى إمامين متتابعين ولياه رئاسة دائرة العشور والجمارك وولياه الإشراف على العقارات والبساتين الملكية .

أما التجارة فلا تزال كما رأينا أيام جوردين بيد التجار الهنود المتمركزين فى صنعاء وبقية المدن اليمنية. ومع أن ضرائب باهضة كانت تفرض عليهم أو أن أملاك من مات منهم دون وريث كانت تصادر إلى الإمام، إلا أنهم كانوا يعاملون معاملة أحسن من اليهود.

ان قيمة كتاب نيبور لتكمن فى صدق ودقة أوصافه وكذلك فى ملاحظاته الثاقبة وعدم ترفعه أثناء كلامه عن أناس يختلفون عنه ديناً وثقافة وجنساً.

أقسام الكتاب : الطريق من اللحيه إلى بيت الفقيه. جولة فى منطقة بيت الفقيه. رحلة عبر المنطقة الجبلية (العدين، جبله، تعز). رحلة من بيت الفقيه إلى المخا. رحلة من المخا إلى تعز. رحلة إلى صنعاء. البقاء فى صنعاء ووصف العرش الامامى. العودة من صنعاء إلى المخا. قسم عام عن اليمن (تقسيماته ، عدن وكوكبان وأبو عريش والتهائم وخولان وتهم والجوف ويافع). المناطق الأمامية (تاريخ الأئمة، تاريخ الإمام المهدى الحاكم آنذاك، تاريخ الشيخ عبد راب شيخ الحجرية، نظام الحكم الإمامى، موارد الإمام، القوات المسلحة لصنعاء. فنون اليمن وتجارته، الأمراء والمشائخ تحت حكم الإمام). مخلاف حضرموت (الطبيعة العامة وتجارة المخلاف، المدن الرئيسية، أمراء حضرموت).

– لاروك ،

LA ROUGUE. *A voyage to Arabia Felix.* London Sayman, 1732.

فى بداية القرن الثامن عشر زارت باخرة فرنسية تجارية ميناء عدن من أجل إنشاء علاقات بين فرنسا واليمن فى تجارة البن. وكان لاروك أحد بحارتها الذين تركوا وصفاً لهذه الرحلة.

وصف لاروك الحفاوة التى قابلهم بها السلطان الزيدى آنذاك وكيف أنه أستضافهم فى قصره.

أما المدينة عدن فيقول عنها (لاروك) «أنها لا تزال تبدو كبيرة للناظرين، فهناك البيوت الجميلة ذات الطابقين والسطوح الواسعة».

وأغرب ما جذب سائحنا وجود المسابح الفخمة الكثيرة فى المدينة المبلطة تبليطاً حسناً. ولهذه المسابح قباب مزخرفة ذات شقوق مستديرة يدخل منها ضوء الشمس. وهناك ايضاً الشرفات المشرفة على تلك المسابح يجلس عليها السابحون والمتفرجون على السواء.

قلت أن غرض مجئى هذه الباخرة إلى عدن كان من أجل المتاجرة بالبن اليمنى الشهير . لذلك نرى الرحالة يذكر فيما يذكر أن والى عدن كان عالماً زيدياً، كتب رسالة عن «القهوة».

سلطان ناجي
مُؤرخ ومُفكّر يمني
www.sultannagi.com

ويلاحظ الرحالة أن السكان عرب أقحاح يلبسون الثياب العربية الأصيلة ويتكلمون العربية الفصحى دون لحن. وقد أستعان الوالي بطبيب السفينة في بعض العلاج.

جـوزيف تومـاس ارنو ،

JOSEPH THOMAS ARNAUD. *A voyage to Marib in 1843.* Journal Asiatique.

في الوقت الذي كان فيه القبطان «هينس» يستكشف الساحل الجنوبي لبلاد العرب ويقوم بمسحه من أجل الحصول على مكان مناسب للسفن الإنجليزية ، كان كل من (هلتون) و(كروتندن) الإنجليزيين يتوغلان في الداخل حتى أستطاعا في النهاية الوصول إلى صنعاء وذلك قبل حوالي ثلاث سنوات من إحتلال عدن. إلا أن الإسم اللامع في هذه الفترة فكان ارنو، الشاب الصيدلي الفرنسي الذي كان مجيئه إلى اليمن صدفة. لقد كان أرنو في خدمة حاكم تركي أرسلته حكومته إلى اليمن في مهمة خاصة فأستصحب معه الشاب أرنو. وفي اليمن أستغل أرنو الفرصة فذهب مع قافلة إلى مدينة مأرب وكان ذلك عام ١٨٤٣م. ان الذي ألهب خياله هو ما ذكره (نيبور) عن وجود نقوش سبائية هناك فقد كان نيبور أول أوروبي يحصل على نقش قديم من مأرب وهو مريض في المخـا.

لم تكن رحلة أرنو سهلة. فالقبائل لم تألف بعد وجوه الأجانب، لذلك نوى أرنو ينجو بحياته أكثر من مرة من إعتداءآت تلك القبائل الشرسة.

إن أهمية رحلة (أرنو) لتنبع من أنها كانت أول رحلة من أجل العثور على نقوش سبائية حميرية، لأنه عن طريق تلك النقوش عرف الشيء الكثير عن التاريخ اليمني القديم بفضل مجهوداته ومن جاء بعده كما سنرى.

وفي طريقه الى المخا فقد أرنو بصره من جراء الأمطار التي كانت تهطل فوقه في الطريق. أما الفضل في نشر نقوش (آرنو) فيعود إلى القنصل الفرنسي الموجود آنذاك في جده الذي أستطاع بنشره أياها أن يوصلها إلى أوروبا ويحافظ عليها من الضياع.

وقد كتب آرنو رسالة طريفة، تعد الأولى من نوعها، عن طائفة «الأخدام» في اليمن من حيث تاريخها وعاداتها ومركزها.

ـ آر. بليفـر ،

R. PLAYFAIR
A History af Arabia Felix or Yemen.
Bombay, 1859.

يعتبر كتاب بليفر عن تاريخ اليمن القديم أول كتاب علمي موضوعي يعتمد على الدراسة الجادة الهادفة. وقد حاول المؤلف ـ وكان مقيماً بريطانيا في عدن ـ الإستفادة من كل المصادر الموجودة في أيامه. الف بليفر هذا الكتاب بايعاز من شركة الهند الشرقية ليكون مرجعاً عن تاريخ المنطقة وليستفيد منه المقيمون والضباط السياسيون في عدن ومحمياتها. ومع أنه قد مضى على تأليفه حتى الآن ما ينيف عن القرن، إلا أنه لا يزال يحتل مكاناً مرموقاً في قائمة مصادر تاريخ عدن بوجه خاص. وهو جدير بالترجمة إلى العربية.

لقد تعرض (بليفر) في هذا الكتاب لمجهودات الغربيين الذين سبقوه في الكتابة عن المنطقة فأحسن التقييم. وفي رأيه أن كتاب نيبور لا يزال يحتل المقام الأول. «بالرغم من مضى ما

سلطان ناجي
مُؤرخ ومُفكّر يمني
www.sultannagi.com

يزيد على القرن من تأليف هذا الكتاب فأنه لا يزال أجود وأوضح كتاب كتب عن اليمن. إن أحداً لا يجرؤ على التقليل من أهمية هذا الكتاب الممتاز».

محتويات الكتاب : يضم الكتاب الفصول التالية : ملاحظات عامة عن اليمن. عدن. التهايم. صنعاء. لحج. كوكبان. بلاد القبائل أو حاشد وبكيل. أبو عريش وبنو هلال. خولان، سنحان والسودا. نجران وتهم وشرق خولان. بلاد الجوف. يافع. تاريخ اليمن من العهد المسيحي إلى الإحتلال الحبشي. اليمن تحت الإحتلال الفارسي. اليمن من الهجرة إلى قيام الدويلات الأولى لسلاطين اليمن. اليمن خلال عصور الدويلات. الإكتشافات الأولى والإحتلالين البرتغالي والتركي. من أول ظهور البريطانيين في البحر الأحمر إلى الجلاء التركي الأول من اليمن. اليمن من الدولة الثانية لائمة صعده حتى الغزو الوهابي. اليمن من الغزو الوهابي إلى الوقت الحاضر (أي وقت تأليف الكتاب عام ١٨٥٩). تاريخ البيت الحاكم في لحج وعدن من يوم إستقلالهم عن أئمة صنعاء وحتى الإحتلال البريطاني. عدن منذ الإحتلال البريطاني.

ويضم الكتاب إيضاً ملاحق عن : جدول تاريخي عن أئمة صنعاء. جدول تاريخي عن لحج. المعاهدة بين بريطانيا وسلطان لحج. المعاهدات بين بريطانيا والأمراء على كل من الساحلين العربي والأفريقي بشأن تحريم تجارة الرقيق.

ـ ف. م. هنتر ،

F. M. HUNTER. (1) *An account of the British Settlement of Aden.* London, Trunber. 1877.

(2) *Arab Tribes in the Vicinity of Aden.* Bombay, 1909

عمل المستر هنتر مقيما بريطانيا في عدن وبلاد الصومال في النصف الثاني من القرن التاسع عشر. وقد ألف كتابه هذا عن عدن بعد مضي حوالي عشرين عاماً من تأليف كتاب بليفر. ويعتبر الكتاب اول وصف تفصيلي دقيق عن النواحي الجغرافية والسكانية والإجتماعية والتجارية والإدارية والسياسية والتعليمية لعدن المستعمرة خلال الثلاثين عاماً الأولى من الإحتلال البريطاني. لقد فصل وأجاد في كل قسم من أقسام كتابه ودعم أقواله بالإحصائيات الدقيقة عن كل ناحية من النواحي. فعندما تكلم عن جغرافية عدن ذكر آبارها وصهاريجها وكيفية مياه الشرب فيها آنذاك. وعند كلامه عن السكان أعطى الإحصائيات الدقيقة عن كل جنس من الأجناس التي تسكن المستعمرة واصفاً أعمالهم وأخلاقهم وملابسهم ومأكلهم وطريقة أفراحهم. وفي القسم من الكتاب عن تجارة المستعمرة ذكر الموازين والمقاييس والعملة المتداولة والصناعات المحلية من تشييد المساكن إلى صناعة الحياكة والغزل والمعاصر والنوره والفحم والملح والصباغة والتقطير وبناء القوارب والمياه الغازية والثلج. ثم ذهب يعدد عن طريق الجداول الدقيقة أسعار مختلف السلع الواردة والصادرة. ثم أفرد قسماً يخص نظام الإدارة والمالية وإيجار الأراضي والتعليم والبريد والصحة العامة والجيش والتحصينات. وفي قسم أخير عالج أحوال القبائل المجاورة لعدن. وقد توسع فيما بعد في معلومات هذا القسم حتى استطاع بعد حوالي ٣٠ سنة من تأليف كتابه هذا (أي عام ١٩٠٩) أن يخرج كتابه الثاني المهم عن القبائل المجاورة لعدن.

سلطان ناجي
مؤرخ ومفكر يمني
www.sultannagi.com

ان كتاب هنتر الثانى عن القبائل المحيطة بعدن الذى الف قبل حوالى ستين عاماً من الآن، ليعد هو إيضاً كتاباً فريداً من نوعه. ان الواحد ليعجب من دقة المعلومات والشمولية التى عالج بها شئون القبائل. وكلا هذين الكتابين جديران بالترجمة.

ان الطريقة التى أتبعها فى دراسة القبائل الشرقية منها والغربية هو أنه يبدأ بالكلام عن سكان القبيلة المعنية ثم يذكر مواردها طريقة إدارتها والعائلة المالكة فيها ثم قبائلها الكبيرة منها والصغيرة. ثم يفرد جزء للكلام عن موجز تاريخها المعروف وعندما يأتى إلى فترة الوجود البريطانى يسترسل فى هذه الناحية سنة بسنة حتى يوصل معلوماتنا عن هذه القبائل إلى زمن تاليف الكتاب.

إن هنتر لم يتحيز فى أحكامه. وقد عرف عنه حبه للمنطقة حتى قال أحدهم أن إسمه أستمر يتردد ذكره فى كل من عدن والصومال مده من الزمن بعد رحيله. وعلى كل حال فأن هذين الكتابين بالإضافة إلى كتاب بليفر المذكور آنفاً أصبحت فيما بعد هى الكتب المعتمدة لدى معظم الكتاب المتأخرين. وقد أستطاع هذان الإداريان الحاكمان أن يرسيا لخلفائهما من حكام ومستشارين تقليداً، إستفادت منه الدراسات اليمنية على وجه العموم، وأعنى بذلك أن يؤلف معظمهم، بعد أن يتقاعدوا عن حكم والمحميات، كتباً عن فترتهم يضمنونها الكثير من المعلومات الخفية والأحكام الشخصية شبه الرسمية التى تجعل بعضها بمثابة مصادر أولية. وسنقابل فى بحثنا هذا قائمة كبيرة من هؤلاء الحكام والمستشارين المؤلفين أمثال جاكوب وبرى ورايلى وأنجرامز وهاميلتون وهيكنبوتم وجونسون وترافيسكس وتريفليان الخ. وفى ظنى قليل من المستعمرات الأخرى هى التى يمكنها أن تضاهى عدن بأعداد الكتب والدراسات الأجنبية التى كتبت حولها.

- جـوزيف هـاليفى ١٨٦٩ ،

JOSEPH HALEVY. *Archaeological Mission to Yemen.* Jour. Asiatique.

فى عام ١٨٦٩ أختارت أكاديمية النقوش والآداب الجميلة فى باريس العالم اليهودى هاليفى لنقل النقوش السبائية فى اليمن. وقد سافر هذا العالم إلى عدن حيث تحصل على مساعدة الحالية اليهودية هنا. وقد بعث معه حاخام عدن بتوصيات قوية إلى يهود اليمن فى صنعاء أوفى المدن الرئيسية الأخرى وذلك لكى يقدموا له المساعدة . وقد قال الحاخام فى توصياته إن الحالية اليهودية فى عدن مستعدة أن تدفع تكاليف أى شئ يحتاجه هاليفى أثناء سفره.

ومن عدن أتجه هاليفى إلى صنعاء ومنها قام برحلاته إلى مأرب ونجران وقد أستطاع أن يحصل على حوالى ٦٧٦ نقشاً جمع معظمها دليله الصنعانى حاييم حبشوش اليهودى. وكانت الترتيبات أن يدفع له قرشاً عن كل سطر ينقله.

ان أكثر معلوماتنا عن (هاليفى) مستمدة من كتاب (رحلات فى اليمن) بقلم دليله حبشوش. وهو عبارة عن مذكرات كتبت بعد مضى حوالى العشرين عاماً بايعاز من جلازر الذى أتخذ من حبشوش دليلا إيضاً لرحلاته فى اليمن كما سنرى، وقد ترجم الكتاب عن العبرية الأستاذ «جويتين»، فى الجامعة العبرية فى القدس عام ١٩٤١.

يبدأ الأستاذ جويتين بقوله أن الكتاب ذو أهمية بالغة لطلاب الجغرافية وتطور اللهجات وعلم الإجتماع. والكتاب على الإجمال وصف لرحلة هاليفى وللمغامرات التى قابلت كل من

سلطان ناجي
مؤرخ ومفكر يمني
www.sultannagi.com

الرحالة والدليل وفيه معلومات قيمة عن حالة اليمن السياسية أيام الفترة العثمانية الثانية. كما أنه يحتوى على معلومات نادرة عن اليهود فى اليمن.

وقد أدعى حبشوش لنفسه فى كتابه هذا الفضل فى أخراج مهمة هاليفى للأسباب التالية :—

(أ) أن له الفضل فى جمع المعلومات الكثيرة التى كان هاليفى يحتاج اليها.

(ب) أنه هو وليس هاليفى الذى قام بنقل النقوش.

(ج) أنه هو الذى أقنع هاليفى بالسير على الطريق التى أوصلته فى النهاية إلى نجران. ولم يكن هاليفى نفسه ينوى زيارة أكثر من مأرب فقط (ص ٨٠—٩٠).

أما هاليفى فانه ينكر على حبشوش المساهمة الفعالة فى أنجاح الرحلة وعلى العكس فقد أتهمه أكثر من مرة بالتحايل عليه فى التبذير فى الصرفيات وفى أجور نقل النقوش.

يقول حبشوش أن هاليفى جاء إلى عدن يزى حاخام مدعياً أنه جاء لجمع الأموال لليهود الفقراء فى القدس. وقد حمل معه رسالة توصية من حاخام عدن إلى حاخام صنعاء طلب منه فيها تقديم كافة المساعدات إلى هاليفى. وقد أحسن يهود اليمن إستقبال هاليفى لاعتقادهم أنه ما جاء إلى بلادهم إلا من أجل البحث عن العشر القبائل المفقودة وكذلك من أجل مطاردة الأرواح الشريرة المختبئة فى تلك النقوش القديمة التى هى السبب فى آلام إسرائيل ! وقد أعتقد به فريق منهم وعاملوه على أساس أنه ملاك من غير طينتهم لما رأوا نصاعة بياض بشرته (ص ٣٨).

أن آثارنا القديمة كانت مبعثرة فى كل مكان وقد ذكر حبشوش كيف أن بعض القبائل كانت تبنى بيوتها من أحجار أثرية عليها الكثير من النقوش.

ويتمتع حبشوش بأسلوب فكه وهو يسرد كثيراً من الحوادث الطريفة التى صادفته لما وقع مرة بيد فى أعرابى قام الأخير فى الحال.. بحمدالله أن أوقع فى يده مثل هذا (الرزق) السمين ! !

كذلك يستطيع طالب علم الإجتماع أن يحصل على معلومات قيمة بأحوال اليمن الإجتماعية. ففى إحدى الجهات من اليمن يذكر حبشوش أن الواحد يتزوج ٤٠ و ٥٠ إمرأة فى حياته ! !

— إدوارد جلازر ،

EDWARD GLAZER

كان الغرض الرئيسى من رحلات جلازر هو البحث عن النقوش السبائية. وقد رأينا أن العلم يدين له بالفضل لأنه أستطاع أن يقنع حبشوش فى كتابة وصف لرحلة هاليفى التى استصحبه فيها قبل حوالى عشرين عاماً.

كان (جلازر) يهودياً لكنه سافر إلى اليمن متظاهراً أنه مسلم. فقد لبس ملابس العلماء المسلمين وسمى نفسه الحاج حسين، كل هذا من أجل أن يقى نفسه الكثير من المخاطر. أن جلازر لم يهتم بجمع النقوش فقط بل كان يبتاع كل ما تقع عليه يداه من مخطوطات عربية. وقد برهنت رحلاته الأربع ،التى قام بها بين عامى ١٨٨٢—١٩٨٤ وجمع فيها أكبر مجموعة نقوش يمنية بلغت حوالى الفى نقش، على أنه يمتلك حساً جغرافياً. وقد أعتبرت مذكراته فاتحة عهد لمن جاء بعده. أما القيمة العلمية لرحلاته فلم تصل اليه أية رحلة أخرى ذهبت إلى اليمن للبحث عن الآثار القديمة والنقوش السبائيـــة.

سلطان ناجي
مؤرخ ومفكر يمني
www.sultannagi.com

أبتكر (جلازر) طريقة جديدة فى نقل النقوش السبائية فبدلا من أن يذهب بنفسه إلى أماكن النقوش كان يوكل غيره فى نقلها. وكانت الطريقة المتبعة هى طريقة (الإستمباج). أى أنه درب الأعراب على أن يطبعوا ما يجدونه من النقوش على صفائح معينة من المواد اللينة التى تستخدم لهذا الغرض بدلا من حمل النقوش ذاتها أو نقلها بنفسه.

– ولتر هاريس ،

WALTER HARRIS. *A Journey through the Yemen.* London, 1893

فى آخر القرن التاسع عشر زار الرحالة الإنجليزى المنطقة وترك لنا كتاباً مفيداً يضم، بجانب الوصف الشيق لرحلته، معلومات عامة مفيدة ودقيقة. وقد كانت اليمن آنذاك يحكمها الإنجليز فى الجنوب والأتراك فى الشمال.

محتويات الكتاب : القسم الأول ويضم فصولا عن اليمن. اليمن قبل الهجرة. تأثير الإسلام فى اليمن. الثورة فى اليمن. أما القسم الثانى فيضم : عدن. من عدن إلى لحج. عبر الحدود التركية. من صبر إلى يريم. من يريم إلى ذمار. من ذمار إلى صنعاء. من صنعاء إلى مناخه. من مناخه إلى الحديده.

وفى آخره يضم الكتاب ملاحق عن شجره أنساب الأئمة . قائمة بأسماء الأئمة وبألقابهم. شجرة أنساب سلاطين لحج.

– ويمان بري ،

WYMEN BURY:
(1) *The land of Uz* (London 1911)
(2) *Arabia Felix or the Turks in Yemen* - London (1915)

كما رأينا أعلاه فى نهاية القرن التاسع عشر ترك لنا الرحالة الإنكليزى هاريس كتاباً عن رحلته إلى اليمن، إلا أن هذا الكتاب لا ينافس كتب الرحالة (برى) عن اليمن بأى حال من الأحوال.

كتب (برى) كتابين وعدة مقالات، واحدة منها عن (طيور اليمن)، سمى الكتاب الأول (أرض عز) أما الثانى فسماه (العربية النعيسة) وقد جعل هذان الكتابان من (برى) أكبر خبير غربى فى أحوال المنطقة فى بداية القرن العشرين.

لجأ (برى) إلى إستخدام النيلة لتغطية جسمه أثناء رحلته إلى أرض المشرق (بيحان والعوالق بوجه خاص). وقد تزي بزى أعرابى وتسمى عبدالله بن منصور وقد أضطر ن يقضى أياماً عدة وهو ممتد عارى الجسم على الصخور تحت لهب الشمس المحرقة حتى يكسب جسمه لون السمرة . وقد سمى أرض العوالق وبيحان (أرض عز) إشارة بذلك إلى الأرض التى تقول عنها التوراة أنها كانت بلا د عز والتى عاش فيها النبى يعقوب.

لقد كان (برى) أول من سافر من الإنكليز إلى هذه المناطق وكتب عنها وعمل لها خارطة قابلت الكثير من الإستحسان لدى من جاء بعده. أما ملاحظاته فقد أكتشف الضابط (هاملتون) أن كثيراً من المبالغات تشوبها. والضباط هاملتون سيكون له شأن، كما سنرى، فى هذه المناطق قبل الحرب العالمية الثانية. يقول الضابط هاملتون أنه حاول أن يتعرف على

سلطان ناجي
مؤرخ ومُفكّر يمني
www.sultannagi.com

مركز (بلميتو) الذى قال عنه (برى) بأنه كاد فيه أن يلاقى حتفه، ولكنه عجز عن ذلك. فقد أخبره الشيخ بوبكر بن فريد أن شيئاً من الذى ذكره (برى) لم يحدث لأنه كان دائماً ينتقل من مكان إلى آخر فى وجه قبيلة معن وعلى مسئوليتها فى أرض العوالق (أورد بلهافن : الطريق الوعر ص ٨٠).

أما كتابه الثانى عن (العربية التعيسة) ففيه وصف جيد لأحوال اليمن فى أواخر عهد الأتراك. وقد ركز المؤلف على المنطقة الواقعة بين المخا وصنعا. وقد تكلم فى صفحات ممتعة عن شجرة القات، زراعتها وتأثيرها ويعتبر هذا الكتاب من المصادر الأولية لمن أراد دراسة الأحوال فى اليمن. وهذه هى محتويات الكتاب : تاريخ اليمن. سكانها. صنعاء. الطيور والحيوانات. المحاصيل والطقس. التجارة والتجار. حياة الأهالى. الأتراك. الأجانب. تنبؤات حول المستقبل.

لقد أهلت معرفة (برى) بأحوال جنوب الجزيرة فى أن يصبح ضابطاً للمخابرات الإنجليزية فى القنال أبان الحرب العالمية الأولى. وقد أوكل اليه القيام بالإعداد والإتصال بالشريف حسين من أجل القيام بالثورة العربية الكبرى ..

— أمين الريحانى ،

AMEEN RIHANI :
(1) *Arabian Peaks and Desert.* (London 1930)
(2) *Around the coasts of Arabia* (N.Y. 1930)

أمين الريحانى كاتب ومفكر عربى من لبنان هاجر إلى أمريكا واتخذها له موطناً ثانياً. إلا أن الشوق لم يزل يبرحه حتى قام برحلات واسعة إلى جميع أطراف الجزيرة. وكانت حصيلة رحلاته كتباً كثيرة، بالعربية والإنجليزية. وأمين الريحانى أكثر المهاجرين وعياً بالقضية العربية. وليست كتبه إلا شرحاً أو دفاعاً عنها. لقد كرس مثلا الجزء الأول من كتابه (ملوك العرب) لدراسة أحوال اليمن وفيه معلومات أولية عن الحركة الإدريسية.

أما نحن فيهمنا هنا تأليفه باللغة الإنجليزية عن هذه المنطقة. فقد ألف كتابين سمى الأول (قمم عربية وصحراء) والثانى (حول سواحل الجزيرة العربية). طبع ١٩٣٠.

يتمتع الريحانى بأسلوب ساخر ينتزع الإبتسامات من القارئ إنتزاعاً. وكتابه هذا ذو قيمة تاريخية وإجتماعية لمن أراد دراسة أحوال عدن قبل أربعين عاماً. يصف مثلا كيف أن الصوماليين كانوا يسيرون جماعات فى الشوارع ،وهم لا يسوا الثياب البيضاء وكأنها ملابس شبوخ أثيناء، وفى أنواههم (المساوك). ورؤوسهم مدفوعة وكأنهم الطواويس. أما عصيهم فكانوا يسلمونها كل صباح أحد إلى أقرب مركز للبوليس ولا يستردونها إلا فى المساء !!

يقول الريحانى القيت مرة سؤالا على إثنين ، أحدهما صومالى والآخر عربى ثم قلت : «أى منكما يخاف الآخر» فأجاب الصومالى وهو يهز عصاه فى يده : «هو الذى يخاف منى. فسكت الثانى ولم يحر جواباً !! (ص. ٣٢١)

ثم ها هو يفرد صفحات ممتعة للكلام عن الولى هاشم بحر فيقول أن ولى الله الصالح كان يشتغل حمالا عند أحد التجار فى كريتر. وقد لاحظ عليه سيده كثرة إدمانه تعاطى القات بعد الظهيرة والنوم الكثير فى الصباح. وفى مرة من المرات جاء الى سيده وهو يحمل كيساً من

سلطان ناجي
مؤرخ ومفكر يمني
www.sultannagi.com

النقود ، فطلب منه أن يشترى له بقعة فى الشيخ عثمان ليبنى له عليها مسجداً لأنه أراد أن يطهر المدينة من إغراء الصوماليات وكذا من شر عساكر الإنجليز الذين أفسدوا أخلاق الشيوخ لتردد الدائم على أماكن البغاء !! إشترى التاجر البقعة وبنى هاشم بحر عليها المسجد. وبعد مدة بعث الله له الوحى بشكل (حمى). فأوصى أن يدفن جسده تحت قبة المسجد. لكن رغبته تلك تتطلب رخصة من السكرتارية. ذهب الوسطاء يطلبون الرخصة ولكن دون جدوى. فما كان من ولى الله الصالح إلا أن بعث بانذار شفوى وهو على فراش الموت : «قولوا للإنجليز أننى لن أموت، إن شاء الله ، قبل الحصول على الرخصة» (ص. ٢٣٠).

وينتقد الريحانى نظام الحماية ويقول أن الإنجليز وحدهم الذين أستفادوا من نظام الحماية لأنهم بدفعهم تلك المشاهرة استطاعوا المحافظة على وجودهم فى عدن. فلولا نظام الحماية لكانوا أحتاجوا إلى الصرف على ٢٠ فرقة لتحافظ عليهم من غزو الأعراب من الداخل (ص. ٣٠٩). ثم هو يقول أن الإنكليز فى عدن لم يحموا المحميات ولحج من الغزو التركى أبان الحرب العالمية الأولى. بل على العكس قامت علاقات ودية بين السلطات الإنجليزية وسعيد باشا فى لحج فى الوقت الذى كان فيه سلطان لحج يتفطر الما على إحتلال بلاده. «بعد السلام : صدر اليكم ببعض الأكياس من الخضروات والفواكه» فيجيب المقيم الإنكليزى فى عدن. : «أستلمناها ونحن نشكركم على ذلك . نرجو أن تتقبلوا هذه الهدية البسيطة وهى عبارة عن أكياس من الموز والسكر وعلب سجائر». ولا يكاد عساكر الترك يستلمون السجائر حتى يهتفوا بأعلى أصواتهم «عاش الإنجليز»! (ص. ٣٠٤) ويختتم الريحانى كلامه عن سياسة الإنكليز فى عدن قائلا: قرأت مرة فى أحد التقارير الرسمية الإنجليزية ما يلى : أن فلانا وفلانا يدينان لنا بأمارتيهما لأننا نحن الذين ساعدناهما ضد مطالبين آخرين من نفس العائلة (ص. ٣٥٥).

وفى الكتاب وصف ممتع لمقابلة تمت بين المؤلف وسلطان لحج «سأل السلطان الكابتن (يأنى) — رفيق المؤلف — عن صحة الملك حسين (شريف مكة سابقاً) فأجابه الكابتن : أن صاحب الجلالة لا يشعر بالمرض إلا عندما يرى وجوه الإنجليز». فلما سمع السلطان الجواب حاول أن يغير الحديث (ص. ٣٤٤).

— **هـارولد جاكـوب ،**

HAROLD F. JACOB :
Kings of Arabia (London, 1923)

عمل مساعداً للمقيم البريطانى فى عدن ثم مندوبا سامياً فيها أثناء الحرب العالمية الأولى. وكان يعتبر كبير المستشارين السياسيين فى شؤون جنوب الجزيرة (للسير ريجالد ونجيت) (الورد اللنبي) المندوبين الساميين فى مصر. كان أول مفاوض تبعث به حكومته لمفاوضة الإمام يحى قبل حوالى خمسين سنة فاحتجزته قبائل (القحرة) ما بين تهامة والحديدة لأنها خافت أن يصل الأثنان إلى إتفاق يتعارض مع مصالح القبائل.

الحقيقة أن التسمية للكتاب غير مناسبة لأن الكتاب فى مجمله يتكلم عن تاريخ هذه المنطقة وليس عن (ملوك العرب) كما يشير العنوان.

يحتوى الكتاب على ١٤ فصلا يتكلم فيها المؤلف عن أقدم العلاقات بين اليمن والإنكليز ، ففترة حكم القبطان (هينس)، فعصر الأتراك فى اليمن، فالعلاقات التركية اليمنية، فالحرب العالمية الأولى، فستقبل اليمن ثم عن عدن ، ثغر اليمن.

سلطان ناجي
مؤرخ ومفكر يمني
www.sultannagi.com

يعتبر هذا الكتاب من أجود الكتب الغربية التي كتبت عن هذه المنطقة لأن مؤلفه يكتب بعد معاناة وتجارب ومعرفة. وقد استفاد كثيراً من مذكرات القبطان (هينس). أما آراؤه فهي صريحة حتى ولو تعارضت مع المصالح البريطانية.

يحتوى الكتاب على معلومات قيمة عن السياسة والإدارة البريطانية فى عدن بعد الفتح. وهو محشو بأمثال عربية أستحسن المؤلف الاتيان بها لتوضيح ما يريد أن يقوله. فمثلا عندما يتكلم عن جمال النساء فى تهامة يأتى بالمثل «من راح أبا عريش رجع بلا ريش». أما تذبذب حالة سلطان الضالع أبان الحرب فيلخصه المثل «أينما دارت الزجاجة درنا».

والمؤلف دقيق الملاحظة فهو يسجل أشياء قد تبدو هزلية لكنها ذات مغزى عميق لطالب التاريخ وعلم الإجتماع. يقول المؤلف : بعد أن عادت قواتنا إلى لحج بعد إعلان الهدنة وجدنا هذين البيتين من الشعر مكتوبين فى أماكن بارزة يتكلم الأول عن السياسة الحكيمة التي أتبعها الأتراك فى لحج مدة الإحتلال الذى دام ثلاث سنوات، ويتكلم الثانى عن فرار السلطان.

(١) تلك آثارنا تدل علينا
فانظروا بعدنا إلى الآثار

(٢) إذا ذهب الحمار بام عمرو
فلا رجعت ولا رجع الحمار

أما عن حالة علماء المساجد أبان الحرب، فلقد كان المصلون فى عدن يرددون بعد أئمتهم :

«يا قوى يا عزيز، أهلك الحر من وأنصر الإنجليز»!!

أن من يقرأ كتاب (جـاكوب) ليعجب من تلك المحاولات المستميتة التي بذلها العرب لاسترداد عدن من قبضة الإنجليز. فكثير هم الذين أدعوا أنهم المهدى المنتظر أو سلاطين البحر والبر وقادوا الحملات ضد الإنجليز. وبعضهم أدعى أن عدن ستفتح لهم أبوابها دون مقاومة، وأن سلاح الإنجليز سيعود إلى نحورهم. أما السيد إسماعيل الذى جاء من مكة وقاد القبائل فى جهاد مقدس فقد كتب رسالة طريفة إلى (هينس) طالباً منه أن يعلن إسلامه قبل فوات الأوان !! وبعث الرسالة مع ثلاثين صومالياً. أستلم (هينس) الرسالة وأوثق الرسل بالحبال وأركبهم (صنبوقاً) وأرسل بهم إلى بلاد بربرة وكأنهم طرد بريد مسجل !!

يقول الكاتب أن القبطان (هينس) المقيم الأول فى عدن ، ساعد على نشر النفوذ البريطانى فى المنطقة باتباع سياسة (فرق تسد) وأنه كان يترك القبائل تتقاتل فيما بينها حتى يصيبها الإنهاك، عندئذ يتدخل لأن الأعراب كما يعتقد لا يمكن أن يتفقوا حتى على تقسيم (قوصرة) من التمر دون خصام. وعلى العموم فالمؤلف يعتقد بوحدة اليمن ويقول أن أهلها هم المؤهلون لحكمها.

– ويتلف نيلسن وفرتز هومـــل وآخرون

التاريخ العربى القديم، ترجمة واستكمال الدكتور فؤاد حسنين على، مكتبة النهضة المصرية.

فى عام ١٩٢٧ ظهر كتاب بالألمانية حول تاريخ اليمن القديم. وقد وضع هذا الكتاب عدد من الأساتذة المختصين فى العربية السعيدة، آثاراً ، وتاريخاً ، ولغة وأدباً، فمنهم (نيلسن) وقد أختص نفسه بفصلين الأول فى تاريخ علم البحث والتنقيب فى بلاد العرب الجنوبية، أما

سلطان ناجي
مؤرخ ومُفكّر يمني
www.sultannagi.com

الفصل الثانى فقد خصصه للديانة فى العربية الجنوبية. وقد وفق كثيراً فى الفصلين. أما العلامة (فريتز هومل) فقد كتب فصلا عن التاريخ العام لبلاد العرب الجنوبية. ثم اختص نيكولوس رودو كاناكيس بالكتابة عن الحياة العامة للدول العربية الجنوبية فصورها تصويراً صادقاً. ومما يذكره هذا العالم «أن اليمن عرفت النظم الدستورية، إذ كانت توجد فيها مجالس نيابية تمثل الشعب، وكان يوجد مجلس قبلى إلى جانب العرش كما كانت تمثل القبائل المختلفة فى الهيئات التشريعية المتعددة التى كانت إدارة البلاد بيدها. وضماناً لتنفيذ التشريعات كان يقوم إلى جانب العرش مجلس الدولة ومجلس للقبائل وأعضاؤهما يكونون الحكومة». أما العالم (أدولف جروهمان) فقد وضع فصلا خاصاً عن الناحية الأثرية لبلاد العرب الجنوبية.

هذا الكتاب فى رأيى يكون أحد المراجع الأساسية الذى لا يستغنى عنها كل من يعنى بدراسة اليمن القديم سواء من الناحية التاريخية أو المدنية أو الأدبية. ومما يزيد فى قيمته الإستكمالات والإضافات التى أضافها المترجم. فنراه مثلا يضيف إلى الكتاب المجهودات الجديدة التى بذلت فى دراسة تاريخ اليمن بعد تأليف هذا الكتاب، كما يصحح الكثير من النظريات فى تاريخ اليمن القديم مستعيناً بذلك بابحاث (وندل فيلبس) والأستاذ (البريت) و (ريكمانس) و (عبدالله فيلبى) الذى كتب كتابين عن الأثريات فى شبوه ونجران سمى الأول «بنات سبأ»، وسمى الثانى «المرتفعات العربية». وللمستشرق فيلبي كتاب قيم عن التاريخ اليمنى القديم دعاه «مهد الإسلام». وأنا لم أناقش كتب فيلبى فى هذه الدراسة لأننى أعتبرها أكثر صلة بالقسم الجنوبى الشرقى للجزيرة العربية (حضرموت) والتى تستوجب دراسة مستقلة.

-- هـــانز هلفـــرتز ،

HANS HALFRITZ :
The Yemen : A secret journey. London, 1958.

لقد ترجم الكتاب إلى العربية خيرى حماد بعنوان (اليمن من الباب الخلفى). والمؤلف رحالة المانى زار اليمن مرتين فى الثلاثينات من هذا القرن بحجة عرض دراسة الموسيقى اليمنية. وقد قام برحلته الثانية إلى اليمن عن طريق حضرموت، لذلك كانت التسمية بالباب الخلفى.

فى الكتاب صدق فى القول وحرارة فى العواطف وملاحظات تاريخية قيمة. وهو أول كتاب كما أعرف حاول أن يعطى تفسيراً للصلة بين الموسيقى اليمنية وموسيقى البربر فى شمال أفريقيا. كذلك لاحظ هذا التشابه فى الفن المعمارى أيضاً. وفى هذا تأكيد للرأى القائل أن معظم سكان المغرب هم يمانيو الأصل . .

يبدأ هلفرتز رحلته من عدن حيث قال إبن جبير (١٢٠٠ م.) ما يلى : «أن مناخ عدن من السوء بحيث يتحول النبيذ فيها إلى خل فى أقل من عشرة أيام». والكاتب يسمى جبل شمسان جبل (جم جم). أما المناطق المجاورة لعدن فيلاحظ المؤلف أنه توجد فيها تصاميم للأكواخ قد تعود بأصولها إلى أيام ماوك سبأ.

ومن عدن يتجه إلى حضرموت ومنها إلى اليمن عبر فيافى وقفار مارة بجزء من الربع الخالى حيث «يؤمن المأوى لطراز من السكان، الطراز الذى يضم العصاة والمنشقين على القانون الذين

سلطان ناجي
مؤرخ ومفكر يمني
www.sultannagi.com

نبذتهم مجتمعاتهم القبلية لأخطاء خطيرة أرتكبوها، ومثل هذه العقوبة—عقوبة النبذ —هي أقسى ما يمكن أن يلحق بالبدوى من قصاص، تماماً كما كانت الحالة لدى الشعوب فى الماضى» (ص. ٧٢).

وبعد مغامرات ومشاق يدخل اليمن ويسجن لمدة من الزمن عقاباً له على دخولها دون تصريح فى هذه المرة. ويبدأ بتدوين ما يراه صالحاً للتدوين. يتكلم عن القات وعن اليهود وعن الإمام وعن كل شئ يلفت النظر. ويظهر أن المؤلف فهم تشدد الإمام فى عدم سماحه للأجانب، ومن جملتهم المؤلف، من الدخول إلى اليمن، لأنه —أى الإمام—«يعارض معارضة شديدة فى أية عمليات إستكشافية لمملكته، حتى فى هذه المناطق. حيث ينصب الإهتمام على الآثار ليس إلا. وكان يعتبر الإهتمام بحل الرموز والنقوش الأثرية . . مجرد ذريعة للتجسس على بلاده، ولم يكن ليصدق أن الرسوم اليدوية والصور التى تؤخذ للآثار التاريخية يمكن أن تكون مجرد وثائق عن عصر أنقضى. وكان يرى أنه إذا سمح للأجانب بدخول بلاده بحرية، فسيتدفق عليها عدد كبير من الناس الذين لا يهتمون حقاً بالآثار وإنما يتنكرون فى أزياء العلماء. وآنذاك ستغدو اليمن بلادا (مفتوحة) وتتعرض للحضارة (العصرية) وللتطور (الإقتصادى) ويفد اليها الغزاة العسكريون من الأجانب فى أعقاب المموّلين والمهندسين الأجانب. وإذا أخذنا بعين الإعتبار التجارب التى مرت بها بعض البلاد الأخرى فأن الإمام قد لا يكون مخطئاً فى هذا الرأى كل الخطأ» (ص. ١١٠).

وهناك فصل خصص للكلام عن الإمام يحى الذى من عاداته «أن يطلع على كل كبيرة وصغيرة من شؤون بلاده. ويتوخى أن لا تخفى عليه خافية حتى ولو كان أمراً تافهاً للغاية» وله «صبر عجيب على الإستماع إلى العديد من العرائض والشكاوى والطلبات التى تقدم اليه شفوياً وبصورة مستفيضة باللغة العربية الغنية بألفاظها، ولا يترك إنسان قصر الإمام إلا وقد هدأت نفسه . . وكثيراً ما يأتون بالمرضى اليه إذ راجت عنه سمعة سحرية فى شفاء المرضى» (ص. ١٤٠)

ويحب الإمام أن يرى رعاياه يعيشون حياة الإعتدال، وعليه «لا يستطيع أى يمانى يجنى ثروة كبيرة، تجنب أن يصبح مشبوهاً من الناحية السياسية فى يوم ما، إذ أن المال يأتى بالسلطان ولا يريد الإمام أن ينازعه فى السلطان أى من رعاياه، وهكذا فأنه يلجأ فوراً إلى مصادرة أموال ذلك الثرى مخافة أن يتعرض لإغراء السلطان ويضمها إلى بيت المال» (ص. ١٥٠).

أما بخل الإمام فقد كان يضرب به المثل. فمثلا كان يفرض على زوجاته وجواريه وما لديهن من الخدم خياطة الملابس لجنوده (ص. ١٥٣).

وعندما يتعرض المؤلف للحوادث التاريخية فأنه يلجأ إلى إنتقاء الحوادث الطريفة، فأثناء كلامه عن تاريخ جامع صنعاء، يروى هذه القصة : «يقال أن إبن الفضل زعيم القرامطة . . عندما أحتل صنعاء عام ٩١١ أمر بأن تملأ باحة الجامع بالماء إلى إرتفاع قدمين أو ثلاثة وأن يؤتى بجميع نساء صنعاء إلى هذه البحيرة الصناعية لإجبار هن على الإستحمام فيها عرايا. وتقول القصة أن إبن الفضل، أتخذ مجلسه فى إحدى منارات المسجد. وأخذ يراقب المستحمات منها لينتقى منهن من يرقن له ليضمهن إلى حريمه بحق الفتح» (ص. ١٦٧).

سلطان ناجي
مؤرخ ومفكر يمني
www.sultannagi.com

أما اليهود فيفرد لهم صفحات يتكلم فيها عن حياتهم وأحوالهم. «سألت مرة أحد الحاخامين إذا كان اليهود فى اليمن قانعين بالعيش فيها، فرد على قائلا : أننا نعيش فى أمن وإطمئنان ونحن نأمل فى قيام ملك من اليهود يحكم اليمن. ونحن نصلى لتحقيق هذا الأمل كل يوم» (ص.١٧٥)

وكما أنتقى الكاتب قولا قديماً فى وصف جو عدن نراه أيضاً يختار قول أحد كتاب العرب فى وصف اليمن. «أن جميع أهلها من الأقوياء الأصحاء فهم لا يعرفون المرض وليست فيهم حيوانات أو نباتات سامة أو أشخاص من المجانين أو العميان. والطقس فيها يشبه طقس جنات النعيم ويرتدى الناس فيها نفس الملابس صيفا وشتاء. أما النساء فلا يتجاوزن مرحلة الشباب أبداً» ص. (١٧٧).

– **سلفاتور أبونى ، مملكة الإمام يحي** ، تعريب طه فوزى الطبعة الأولى ١٩٤٧.

الكاتب إيطالى كتب هذا الكتاب بالإيطالية وعربه إلى العربية طه فوزى وطبعه مرتين. كان الإهداء فى الطبعة الأولى (١٩٤٧) إلى «مقام صاحب الجلالة الإمام يحى بن حميد الدين محرر اليمن وإلى اليمنيين» أما الإهداء فى الطبعة الأخيرة (١٩٦٣) «فر فوع إلى الثورة اليمنية المجيدة التى أطاحت بعائلة الإمام يحى بن حميد الدين»

على كل حال ليس هذا المترجم وحده الذى سخر أعماله من أجل الأغراض التجارية. فمثلا كتاب (أنا عائد من جنوب الجزيرة) للأستاذ السقاف يطبعه ناشره من جديد بعد الثورة اليمنية باسم (أنا عائد من اليمن).

إن الكتاب الذى نحن بصدده عبارة عن وصف لرحلة قام بها صحفى إيطالى قبيل الحرب العالمية الثانية إلى اليمن يوم كانت إيطاليا تتمتع بالمركز الممتاز بين الدول فى اليمن : ولهذا نجد المؤلف يتحمس للإمام ويدافع عنه.

بدأت الرحلة فى عدن ومنها إتجه الكاتب إلى تعز حيث دار بينه وبين الإمام حديث تعرض لأشياء كثيرة منها سبب عزلة اليمن عن العالم الخارجى. وفى كلام إبن الوزير شبه بما قاله الرحالة الألمانى هلفر ينز. قال إبن الوزير : «أن اليمن لا يزال يحتفظ ببابه مغلقاً. وإذا لم نقل نعم لكل من يطلب الينا الحضور فلا نخطر بالبال أننا قوم متعنتون أو أننا نكره الأجانب أو نحقد على الغرباء . . وما ذلك إلا لأن الكثيرين منهم لا يطمئوننا على النفسية التى يأتون بها الينا وغالباً ما يكونون من الدساسين أو المهربين الخطرين الذين يجب أن نتقى شرهم» (ص. ١٥).

والغريب أن هذا الوزير الذى يظهر بمظهر التقدميين، نراه يفرض على كل المواطنين بأن يرسلوا حول دقونهم كل ما وهبهم الله من شعر ! أما الإمام فمع أن المؤلف يدافع عنه إلا أنه يظهره بمظهر الرجل التقليدى. «أحسب لو أنى ذهبت للتشرف بالمثول بين يدى المليك فى أية ساعة من ساعات النهار وحملت معى آلتى الفوتوغرافية لألتقط بها بعض الصور فى الوقت المناسب لكان الإمام لحظ ذلك ولبادرنى بقوله : ما أجمل هذه الآلة. أرنى أياها. وما هى إلا أن يتناولها بيده حتى يلقى بها إلى الأرض فتصبح هشيما» ص ٦٦.

ويروى الكاتب هذه الحادثة الطريفة ! طلب الإمام مرة من طبيب سلافى كان موجوداً فى صنعاء ليكشف عنه . قام الطبيب بالكشف ولكنه وجد علامات مخيفة لأمراض

سلطان ناجي
مؤرخ ومفكر يمني
www.sultannagi.com

بعضها أشد هولا من البعض الاخر فأخبر الملك فتأثر الإمام كثيراً عند سماعه هذا الكلام حتى أنه ترامى فوق وسائده. فأثار هذا التصرف البكاء والنحيب والصراخ عند أهل بيته والمقربين لديه، لكن الإمام ضاق ذرعاً بذلك فعيل صبره فوقف على قدميه صارخاً لاعناً وانهال على الموجودين ضرباً وشتما وأخذ يوزع لكماته شرقاً وغرباً على من كانوا يحملونه وطرد الطبيب وكل من حوله شر طردة (ص. ٧٢).

وفى آخر الكتاب يتأسف أبونتى على فراقه لليمن قائلا :

«وداعاً أيها اليمن الجميل»

«وداعاً أيها الشعب الوادع اللطيف»

«وداعاً أيها العساكر الظرفاء»

أنى لا أستطيع إلا أن أقول لكم أن السفر ومبارحة بلادكم الجميلة المحبوبة بلاد السحر والأحلام تسبب للإنسان الأسف والحسرة وتجعله يشعر بيقظة مزعجة مكدرة لأن من يسعده الحظ بزيارة بلادكم ليخيل اليه أنه كان فى حلم لذيذ . . . يود أن يبقى مستغرقاً فيه إلى ما شاء الله».

– لـــورد بلهـــافن ،

LORD BELHAVEN :

1. *The Kingdom of Melchoir* (London 1949)
2. *The Uneven Road* (London 1955)

كان هاملتون (لورد بلهافن فيما بعد) ضابطاً سياسياً فى محمية عدن الغربية فى الثلاثينات من هذا القرن. وله الفضل الكبير فى تأمين الطرقات المؤدية إلى عدن من اليمن عن طريق لحج والصبيحة وبلاد العواذل. وقد كتب كتابين عن المنطقة سمى الأول (مملكة ملكيور) يعني بها أرض العوالق حيث لا يزال يسكنها نسل (ملكيور)، أنقى الأجناس البشرية دما. أما الكتاب الثانى فهو عبارة عن ترجمة ذاتية للمؤلف مع التركيز على الفترة التى قضاها فى المحميات. وقد دعى هذا الكتاب الثانى (الطريق الوعر).

ويجدر بنا هنا أن نذكر أن الضابطين الإنجليزيين (أنجرامز) و (هاملتون) هما أقوى شخصيتين عرفتهما المحميات بشطريها. فقد أستطاع (أنجرامز) أن يجلب الأمن والنظام إلى حضرموت وأن يوقف الحروب القبلية بتعميم ما سمى فيما بعد بهدنة أنجرامز . أننى لم أعالج الكتب التى تعالج القسم الجنوبى الشرقى لليمن (حضرموت) لأنها من الكثرة بحيث تستحق دراسة مستقلة إلا أنه يسترعى النظر هنا أن كتب أنجرامز والانسة (فرياستارك) تعد من أهم الكتب عن ذلك القسم. أما عن شخصية وأعمال الضابط هاملتون فهى كثيرة. وقد برهن عن جلد وصبر قلما تحمله أبناء الذوات من أمثاله.

ان كتابه الأول عن (مملكة ملكيور) عبارة عن وصف لرحلة قام بها المؤلف يوم كان ضابطاً صغيراً بصحبة الكولونيل (ليك)، مؤسس جيش محميات عدن إلى بيحان والعوالق. وفيه إيضاً وصف للحملة التى قادها إلى شبوه ضد عساكر الإمام. والمؤلف كالكولونيل (ليك) لا يكتم إعجابه بشعب العوالق القوى ، لقد كانت هذه الرحلة أول رحلة رسمية ولم

سلطان ناجي
مؤرخ ومفكر يمني
www.sultannagi.com

تسبقها إلا رحلتا (برى) كما رأينا، ورحلة فان ميولن، الرحالة والإدارى الهولندى المشهور الذى سافر من عدن إلى حضرموت قبيل الحرب العالمية الثانية ماراً بالمحميات الغربية وقد وصف رحلته هذه فى كتابه (من عدن إلى حضرموت). أن هذه الرحلة لم تكن الأولى بالنسبة للرحالة الهولندى، فقد زار حضرموت قبل ذلك بايعاز من حكومته وذلك ليكتب تقريراً عن الشعب الحضرمى لأن مئات الآلاف منهم يعيشون فى جزر الهند الشرقية تحت حكم الهولنديين . وقد أستطاع ميولن وزميله فى الرحلة (فيسمن) من رسم الخرائط الدقيقة للمنطقة أستفاد منها كثيرا من جاء بعده. وقد قال هاملتون فى أحد كتبه أنه يفضل كلمة واحدة للبروفسور ميولن على كتاب كامل لغيره.

أما الكتاب الثانى (الطريق الوعر) فهو وصف للمناطق التى قام بها بعد معاهدة صنعاء عام ١٩٣٤ من أجل تأمين الطرقات بين اليمن وعدن. كان الإمام قد طلب بصفة ودية من الحاكم الإنجليزى (رايلى) أن تؤمن الطرقات التجارية المؤدية إلى عدن. فكان أن أوكل الحاكم إلى (هاملتون) إنجاز تلك المهمة . وقد نجح (هاملتون) بعد جهود مضنية فى تأمين (طريق الله). بدأ بتأمين الطريق المارة (بام رجاع) فى بلاد الصبيحة حيث أشتهر أهلها بنهب وسلب القوافل المارة فى بلادهـــم.

وقد عرف عنهم اللؤم فى معاملتهم المارين، من ذلك أنهم كانوا يحتجزون أصحاب القوافل والمسافرين حتى يشرفوا على الموت من العطش، عندئذ يعرضون عليهم بيع قطرات الماء بأسعار خيالية. وما كان على المسافرين إلا أن يذعنوا ويشتروا تلك القطرات . ثم أنتقل (هاملتون) إلى أرض القطيبى (ذئاب ردفان) المشهورين بقطع الطرق وأتباعهم أساليب بعيدة عن الطبع العربى أثناء معاملتهم المسافرين. وبعدها أنتقل إلى الطريق الاتية من جهة العواذل.

ان من يقرأ كتب هاملتون يشعر أن الكاتب عنيف فى كل شئ، عنيف فى أساليبه وفى أسلوبه. يقول الحق ولو كان موجهاً ضد حكومته التى عمل لها باخلاص. لقد أصبح إسم (هاملتون) وحده رادعاً لقطاع الطريق. وهذه بعض آرائه كما سجلها فى كتابيه الإثنين عن المنطقة.

(١) مملكة ملكبور،

تناقشت مع (ليك) ومما قلته أن لفظة (محمية) تبدو غامضة. فحمايتنا لهذه القبائل من الهجوم الخارجى غير ذات معنى ما دمنا نتركها تتقاتل فيما بينها. ان القرآن الكريم نفسه يدين هذه العادة القبيحة أما نحن فأننا للأسف الشديد، نزيد فى تعميق الخلافات بتزويدنا أياها بالمال والسلاح. ص (٤١).

لو أن اليمن أحتلت هذه القبائل لكانت أعطتها الأمن والسلام، أما نحن فكل ما أعطيناه حرية بدون سلام. وكل حرية بدون سلام عديمة الجدوى (٦٠) .

ان أشراف بيحان لا يملكون الحق فى أن يدعوا لأنفسهم حكم وادى بيحان. فعن طريق الحماية فقط أستطاعوا من السيطرة على الوادى بعد قضائهم على شيخ مصبعين منافسهم الوحيد (ص. ٧٣)، (ص. ٨١ الطريق الوعر).

سلطان ناجي
مؤرخ ومفكر يمني
www.sultannagi.com

بينما السلطان الثرى (يعنى سلطان لحج) يركب عربة أمريكية فارهة، يقف المواطن مستجدياً على باب قصره. أما رعاياه، سكان الأكواخ الحقيرة، فيقف بينهم وبين القصر الشامخ جنود السلطان المسلحون ببنادق إنجليزية (ص. ٧٤).

فى هذا الحوار الذى دار بين (هاملتون) و (الجردعى) قائد العساكر الأمامية عند إحتلال الأول لمدينة (شبوه) نجد أن (هاملتون) يعترف بأنه لم تكن هناك معاهدة مكتوبة تخول للإنجليز إحتلال شبوه. سأل الجردعى (هاملتون) قائلا «نحن نعرف مثلا أنه توجد بينكم وبين العوالق والعواذل وشريف بيحان معاهدات، إلا أننا لم نسمع بوجود (ورقة) أي معاهدة بينكم وبين القبيلة التى تسكن شبوه فبأى حق إذن جئتم».

فأجبت فى وعد عمل مؤخراً ؟

فقال الجردعى : إذن ليست هناك معاهدة رسمية» ؟

فأجبته فى الحال : «لا داعى لذلك» ص: (١٤٨).

(٢) الطريق الوعر،

من نحن بالنسبة للإمام ؟ نحن أمة شريرة. سلحنا إبليس. نحن أعداء ملته ومغتصبو الحكم منه على مساحات واسعة مزدهرة (ص. ٩٨) .

كان يوجد على الجانب الآخر من الحدود نظام وقانون . أما فى جانبنا فتقع أرض الخيانة والقتل والنهب والمرض (ص. ١١١–١١٢).

ويعتبر الإنجليز صاحب السعادة سلطان لحج سلطاناً لحجياً تقدمياً. ولذا منحوه القاباً كثيرة. أما أنا فأعتبره ظالماً وأنانياً. ان الفخفخة التى يظهر بها سعادته لا تليق برئيس عربى. فالرؤساء العرب متواضعون لا يعجبهم التصنع . لذلك فالفرق شاسع بين قصر السلطان وبين أكواخ رعاياه الحقيرة التى تثير الغثيان. أننى لا أفهم لماذا يكافأ السلطان بمثل هذه الألقاب الكثيرة . (ص. ١١٦).

زار هاملتون عدن مرة ثانية بدعوة من الحاكم الانجليزي هيكنبوثم ، وكان فى إحدى الجلسات يتناقش مع سيدة إنجليزية حول الإتحاد آنذاك.

فقالت السيدة «لن يتم الإتحاد،لأن العرب لم يدخلوا فى إتحاد طيلة الألف العام الماضية. وقد أجبتها فى الحال «بل انهم سيتوحدون لأن قبائلهم ما هى الاعبارة عن إتحادات» (ص. ٣٢٠).

– هيـوغ سكـوت ،

HUGH SCOTT :
In the High Yemen. John Murray, 1947.

فى عام ١٩٣٧ قام (هيوغ سكوت) مع رفيق له برحلة إلى جنوب الجزيرة العربية على حساب المتحف البريطانى (قسم التاريخ الطبيعى) وقد قدم الرجلان تقريراً عن رحلتهما، إلا أن (هيوغ سكوت) كتب كتاباً سماه (فى اليمن الأعلى)، وقسمه إلى ثلاثة أقسام، عالج فى القسم الأول المواضيع والأسئلة العلمية التى قام من أجلها برحلته. وفى القسم الثانى كتب المؤلف

سلطان ناجي
مؤرخ ومفكر يمني
www.sultannagi.com

وصفاً شخصياً للرحلة. أما القسم الأخير فقد لخص فيه تاريخ اليمن منذ القدم إلى الحرب العالمية الثانية. وهذا الفصل من أفضل الموجزات التي قرأتها عن تاريخ اليمن. ثم ذيل هذا الفصل بقائمة مصادر عن تاريخ اليمن معظمها المانية. وقد أحتوت هذه القائمة على أسماء مقالات أيضاً عالجت أحوال اليمن. إن هذا الكتاب يستحق الترجمة إلى العربية لأنه يعد من المراجع العلمية عن أحوال اليمن والقائم بالبحث متخصص في مجاله. والكتاب بالإضافة إلى هذه الميزة يحتوى على صور كثيرة تعبر عن معظم جوانب الحياة في اليمن.

كانت رحلة سكوت، خلافاً للرحلات السابقة التي قام بها آخرون، تهتم بدراسة الطيور والحشرات بوجه خاص. أما رحلات (أرنو) (وهاليفي) و (جلازر) فقد أهتمت بالناحية الأثرية والتاريخيـــة . لم تكن رحلـــة نيبور كذلك إذ أنها أهتمت بأكثر من ميدان وهذا ما نجده في الرحلة التي بعثت بها الجامعة المصرية عام ١٩٣٦ برئاسة الدكتور سليمان الحزين وعضوية آخرين منهم الدكتور يحي نامي. وقد نشرت هذه البعثة بعض ما توصلت عليه من معلومات في مجلة (الطبيعة) الإنجليزية. وقد توصل الدكتور حزين إلى آراء جديدة بشأن علاقة القرابة بين شعب اليمن وبعض شعوب الهند والبحر الأبيض المتوسط. أما الرحلة التي قام بها الدكتور أحمد فخري عام ١٩٤٨ فقد كانت من أجل التنقيب عن الاثار وقد نشر الأستاذ فخري حصيلته من الرحلة باللغة الإنجليزية في ثلاثة مجلدات.

يتكلم المؤلف كغيره من الرحالة عن القات ، زراعته وتعاطيه وهو يأتي هنا بهذه الحادثة أثناء كلامه عنه. قال الموظف الإنجليزي في المحميات مرة لأحد متعاطي القات بأنه لو كان الرسول حياً فلا شك من أنه سيحرم هذه الشجرة. فأجاب متعاطي (القات) بسرعة : حمداً لله أن عليه السلام لم يسمع بها (ص. ٩٥).

قام المؤلف برحلته، كما رأينا قبيل الحرب العالمية الثانية، أيام أن بدأت القضية الفلسطينية تتخذ شكلا جديداً. فقد بدأ مشروع التقسيم يظهر آنذاك. وفي الكتاب إشارات إلى أن كثيراً من الشخصيات التي قابلها من أمير الضالع إلى ولي العهد إلى راغب بك ناظر الخارجية أيام الإمام يحي، قد أبدت أسفها على مساعدة الإنكليز في فلسطين لمشروع التقسيم. وكلهم حملوا المؤلف نقل إستنكارهم إلى حكومته الموقرة. وفي هذا دليل واضح على وعي الأهالي في هذه المنطقة. (ص. ١٨٩–١٢١).

– الدكتـــورة إيفـــا هـــويك ،

DR. EVA HOEK :
Doctor Amongst the Bedouins. (London, 1962)

(إيفا هويك) طبيبة المانية عاشت في اليمن وفي حضرموت عشر سنوات تقع بين ١٩٤٧–١٩٥٧. وقد كتبت كتاباً عن هذه الزيارة سمته طبيبة بين البدو) وترجمه إلى العربية خيري حماد تحت عنوان (سنوات في اليمن وحضرموت) عام ١٩٦٢.

عندما قامت ثورة ٤٨ ضد الإمام يحي كانت الكاتبة هناك. وقد سجلت في كتابها هذا ما دار في تعز عندما قام الإنقلاب.. لهذا يعتبر كتابها ذا قيمة تاريخية. أما عن بقية الكتاب فيقول المترجم أن الكاتبة لم تكن متأثرة إلا إلى حد ضئيل بعقلية الغرب الإستعمارية،

سلطان ناجي
مؤرخ ومفكر يمني
www.sultannagi.com

وأنها قد حاولت «أن تكون موضوعية كل الموضوعية فى عرضها الرائع للأوضاع الحياتية التى عاشتها وخبرتها، وفى حديثها عن الأحوال المعاشية التى رأتها وسمعت بها وعملت بحكم مهنتها على تحسينها ورفع مستواها».

أما الغرض من زيارة الكاتبة لليمن فقد كان من أجل أن تعمل كطبيبة لحريم القصر. إلا أن زيارتها لم تدم كثيراً لكثرة المضايقات والمؤامرات. فالشيوخ والأغنياء من الرجال العاطلين كانوا يأتون للمعالجة لسبب أو لغير سبب، أنه كان «يخيل لهم أن من الطرافة بمكان أن تعالجهم إمرأة ولو مرة واحدة بدلا من الطبيب الذى الفوا علاجه من قبل» (ص. ٤٠) وكثيراً ما تحتم عليها أن تهرع فى ساعات متأخرة من الليل لتعالج الما زائفاً أو متاعب فى الكليتين. إلا أن الذى ضايقها أكثر هو أنها وجدت نفسها تجر جرا ودون إرادتها لتقحم فى الدسائس والمناورات. حتى الإمام نفسه كان يصر على توقيع كل وصفة طبية تكتبها الطبيبة لمريض يعالج على حساب الحكومة» فيرفض بعد تأخير طويل (الإبر) التى وصفتها ويكتب العبارة التالية: يمكن إستخدام الحبوب بدلا من «الإبر» ! وهكذا وجدت نفسها نتيجة دسائس القصر التى يتورط فيها المرء وهو منها براء، وثيقة اليدين. ومع كل هذا فقد كان فى وسع الطبيبة أن تحتمل جميع هذه المضايقات «ولكنه لم يكن فى إستطاعتى إحتمال رؤية الألم دون أن أعمل على إزالته، أو أن ألزم نفسى بنوع من العلاج كنت أومن بعدم جدواه، لم يكن فى وسعى أن أغير هذه الأوضاع إذ أن تغييرها يعنى اليمن كلها من الإمام إلى أفقر إنسان. هذه هى العقبة الكأداء التى وقفت أمامى فى اليمن. ولم يكن فى وسعى مطلقاً التغلب عليها» (ص. ١١٦).

ويمتاز هذا الكتاب بطريقة الإسترسال الذى تتبعه الكاتبة. والقارئ لا يشعر البتة أنه جاف مع أنه قد يتضايق من سوء ترجمة الأسماء خدم القصر خورمكسر : الرهيدة ـالراهدة سابور ـصبر ـأوردى ـالعرضى. وللكاتبة ملاحظات دقيقة عن اليمن تهم طالب على الإجتماع كثيراً. فعن الزواج تقول «أنه لم يكن من غير المألوف أن نجد عجوزاً فى التسعين من عمره أو يزيد، يبنى بفتاة فى العاشرة لتحول كما يقول بينه وبين الشيخوخة، بما تحمله من نضرة الشباب ويفاعته»! ص. ٢٥. أما عن تأثير التقاليد والخرافات على عقلية الناس فى اليمن وعلى سلوكهم الحياتى، فأن الكاتبة تأتى هنا بهذه القصة كمعبرة لها فى إحدى المرات. أحضرت اليها فتاة مهشمة الذراع فلما كشفت عليها نصحت بأن تبتر تلك اليد حتى لا يسرى التسمم إلى بقية جسمها. إلا أن أخوى الفتاة رفضا هذه النصيحة وقالا : «أفضل لها أن تموت على أن تقطع يدها. ترى ما هو السبب فى هذا السلوك الغريب ؟» السبب واضح كل الوضوح كما تقول الكاتبة وهو أن الناس سيحسبون هذه الفتاة ذات الذراع الواحدة لصة سارقة وستكون مصيبتها أعظم عندما تصل إلى أبواب الجنة بيد واحدة ويحسبها الناس مجرمة آبقة. وستغمدها رحمة الله حتما إذا قدر لها أن تموت الان دون أن تقطع ذراعها (ص. ٣٥).

أما عن جشع الإمام وحيله التى لا تنتهى فتورد الكاتبة هذه القصة التى سمعت النساء فى جبل صبر يرددنها «إنها قصة الأرملة الثرية التى أوضح لها الإمام أن زوجها المتوفى كان مديناً له. وذكر الإمام رقماً يعدو كل ما لدى الأرملة من ثروة. وبعد أن أغتصب الإمام كل ما

سلطان ناجي
مؤرخ ومفكر يمني
www.sultannagi.com

تملك الأرملة المسكينة من أرض وعقار ومال وسلع ترك لها بيتاً حقيراً تأوى اليه وبضعة أفدنة من الأرض تزرعها لتؤمن لها حاجاتها (ص ٤٩).

وبالرغم من المصاعب الرسمية التي واجهتها ، فأن الكاتبة تفارق اليمن وأهله متأسفة. فقد شعرت بوجود سحر عظيم في هؤلاء الناس الذين يختلفون عن أهل أوروبا في طراز الحياة التي يعيشونها . .

– كلـودين فـايـان ،

FAYEIN, C.

A French Doctor in Yemen. London, 1957.

«كنت طبيبة في اليمن» تعريب محسن العيني—دار الطليعة ببيروت. الطبعة الأولى ١٩٦٠. الكاتبة طبيبة فرنسية كانت تعمل كطبيبة لحريم قصر الإمام في مطلع الخمسينات من هذا القرن. وبعد دسائس غادرت اليمن إلى غير رجعة كالطبيبة الألمانية إيفا «ويك، والكتاب أصبح في طبعته الثالثة بعد مضي حوالى سنتين من ترجمته إلى العربية. وقد سطرت الكاتبة كل إنطباعها في هذا الكتاب المثير : «الحياة في قصر الإمام، كيف تساس المملكة، والحياة العائلية، الجيش. الاسلام والدولة، القات عند الحريم. زواج الصغيرات. وكثيراً من أمثال هذه المواضيع الحساسة . . . ولعل مما يشكر للمؤلفة تلك الصراحة البعيدة عن الغرض وذلك النقد النزيه لأوضاع تلك البلاد » ويحتوى الكتاب على قصص ممتعة دعتها الكاتبة «قصص من كل لون». وهي في هذا الفصل تروى قصصاً مثيرة وإنسانية قابلتها أثناء عملها، وتبدى تعاطفها الكامل مع هؤلاء الأبطال الحقيقيين في قصصها هذه.

مختـارات من الكتاب:

والحياة في اليمن ، ليست هينة يسيرة فليس هناك أثر للراحة ولا للحرية. والوسائل المهنية ضئيلة ، والعلاقات مع السلطات المحلية سريعة التأثر وضعيفة وتميل هذه السلطات أحياناً إلى معاملة الأطباء، كما كانوا في أوروبا يعاملون الحلاقين في القرن الخامس عشر (ص ١٨—١٩)

يا لها من ذاكرة، أنه (تعني أ. بس) يردد لي نفس الكلمات التي قالها للبعثة الأولى. أن اليمنيين ليسوا في نظره إلا مجموعة من اللصوص وقطاع الطرق، وأني سألقى بنفسي بين فكي الذئب. ولكنه مع هذا سيهب لنجدتي ولن يدعني وحيدة وشكرته. ولكنني لم أزد إلا تصميما على الذهاب لرؤية هؤلاء (اللصوص) الذين تجاسروا ورفضوا أن يقدموا متوجهم من البن لمسيو البس ص ٢٩.

ويجب أن لا أنسى أن الملك يؤشر بنفسه بالقرار الذي يتخذه في كل عريضة، ولما كان من غير المقصود أن تكون كتابته الرفيعة تحت كتابة رعاياه فيبدأ المرء الكتابة من منتصف الصفحة تاركاً أعلاها لجواب صاحب الجلالة (ص. ٤٧).

والناس يطلقون عليه (أي الإمام) إسم (أحمد ياجناه) ويؤمنون بأن له مواهب خارقة فقد كان في خدمتي طباخ قضى أيام طفولته في قصر الإمام أكد لي هذا الطباخ أنه رأى الإمام يلقى إلى الأرض بحزمة حطب فتحولت أمام عينيه إلى ثعابين وتفرقت، ورآه مرة ثانية يختلى ليلا في غرفة ويطفئ الأنوار ويجمع الجن ويصدر اليها أوامره وكانت الأصوات تتعالى من حوله (٥٠—٥١)

سلطان ناجي
مؤرخ ومفكر يمني
www.sultannagi.com

كان للإمام مهرج يعرف كيف يضحكه . . وذات يوم والحاشية حول الامام خطرت لهم فكرة وهى أن ينقصوا هذا المهرج الظريف فى بئر . . فكانوا يغطسونه ويرفعونه وهو يتصنع الذعر والخوف . . وكان ممثلا بارعاً فلا يدرك المرء متى تكون إستغاثاته غير مصطنعة . . وظلوا به هكذا يدخلونه فى الماء ويرفعونه حتى أرتفع الحبل وليس فى طرفه إلا قطعة صغيرة لا حراك لها ولا صراخ. ويسلى الإمام أحمد نفسه الان باللعب بالقطار الكهربائى الصغير . . وإذا أستدعى المهندس إلى تعز فما ذلك إلا لتنظيم مواصلات قطار صاحب الجلالة الكهربائى..! وهذا المهندس قد أصبح صديقى فيما بعد (ص. ٥٢–٥٣).

إن الامام شخصياً هو الذى يقرر ما إذا كان معلم فى إحدى الأقاليم النائية البعيدة فى حاجة إلى عشر محابر . . . وقد ذكرت هذا المثال بالذات لأنه قيل لى من أحد مستشارى الإمام وهو خارج من المجلس (ص. ٥٤).

كان أحد رجال الأعمال قد تقدم قبل عدة سنوات يطلب من الإمام الشيخ أن يأذن له بتشييد دار للسينما فى صنعاء. فقال له الإمام :

«أنى أقبل ولكن بشروط ثلاثة»

«ما هى هذه الشروط ؟»

«أولا الا يعرض شئ ضد أسلوب الحكم أو ضد الدين».

فقال الرجل : «هذا أمر مفروغ منه».

قال الإمام : «الا تظهر النساء فى الأفلام» ؟

فقال الرجل مرتبكاً : «أن هذا عسير جد ، ولكننا سنحاول».

والشرط الأخير أن يدخل الناس جميعاً السينما مجاناً» ص (٧٤).

وبوجد اليوم قات (متنقل) يدفع المرء إلى جولات طويلة فى الليل . . . بدون هدف وبشئ من الذهول والنشوة، وقديماً كان هناك قات دعوى يدفع مدمنه إلى العنف ولكن الأئمة الحكماء أمروا باستئصاله (ص. ١٣٨).

وفقدت بعدهم (الأغنياء) عملائى من الأمراء . . فقد كانوا يستدعونني لأتفه الأسباب وفى أى وقت وكنت أستجيب لهم الا أنى وجدت أنه من المستحيل أن أضحى من أجلهم بعملى الضرورى. فكنت أتجاهلهم فيما بعد وأتظاهر بالغباء. لقد رفضت أن أكون تسلية لهم حتى لقد طردت يوماً أميراً وقحاً من حجرة العيادة . . وقد قال الأمير «إذا مرض الأمير فعلى المدنية كلها أن تنتظر» ص. ١٤٩.

فى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل استيقظت على قرعات عنيفة تهز الباب الخارجى هزاً ولم أكد أرفع شعلة المصباح حتى أندفع إلى غرفتى أربعة عساكر يتقدمهم أحد الأمراء؛ دعونى للذهاب إلى بيت الأمير «وزير الصحة» وعندما وصلت اليه تكلم بلهجة جادة قائلا : لقد عملنا كثيراً هذه الليلة وأشعر بألم خفيف فى الرأس. هل تعرفين لى علاجاً ؟ (ص. ١٧٣–١٧٤).

سلطان ناجي
مؤرخ ومفكر يمني
www.sultannagi.com

مرة أخرى أستدعاها الأمير ع. الذى عرف أكبر فنادق أوروبا حيث تقدم للأسياد الشرقيين أجمل نساء العالم. ولم يكن به سوى خدش فى القدم ولم يسمحوا للمترجم بالصعود معى إلى الغرفة. فتح الأمير خزانة فى الحائط فوقعت عينى على مجموعة كاملة من الحجور شمبانيا ، بورتر ويسكى ، كونياك ماركة الثلاث نجمات. أنها مجموعة تدير الرؤوس . . وفجأة تقدم الأمير ع. منى وكشف عن ذراعيه القويتين ، ووضحت نواياه ، ولكننى تملصت من تحت ذراعيه الأيمن بحركة مفاجئة وبكل خفة وأناقة طلب الإمير ع. من صديقى المهندس أن ينقل إلى إعتذاره عما حدث فى لحظة إرتباكه وإضطرابه وطلب أن يتحسس خدودى . . قال أن هذا دليل على الصفح» . !

وقد حاول هذا الأمير أن يستغل صداقة المهندس اللبنانى لى فقال له (دبر لنا الحكيمة) وتستطيع أن تختار من تشاء . . من حريمنا «وقد وصف لى صديقى ما رأى فيما بعد فقال ساقنى الأمير إلى الحجرة المجاورة وفيها سرر كبيرة . . وكنا أمام الزوجات الشرعيات وهن فى أجمل ثيابهن وكامل زينتهن ، وقد زاغت عيونهن وكن مستعدات لكل شئ (ص. ١٧٤–١٧٨)

قال لى عامل ذمار : «أن اليمن مثل البطيخة ، القشرة الخارجية صلبة ولكن الداخل طيب حسن وليعرف الإنسان قيمة اليمن ينبغى الا يطوف بها مسافراً شرها للصور النادرة الثمينة فقط ، يطلب كل شئ ولا يقدم شيئاً. أن هذا لا يحبه اليمنيون ، ففيهم أنفة وأباء. يجب أن تذهب اليهم ببساطة وستأتى الثقة وبعد الثقة يأتى كل شئ (ص. ٢٦١).

وأنى ، وأنا أودع أصدقائى اليمنيين ، لا أفكر فى أوجاعهم وآلامهم ولكنى أفكر فى صفائهم فى قلوبهم وأذهانهم ، فى رغبتهم الصادقة الشفوية فى الإصلاح ، تلك الرغبة التى ظلت قوية فيهم لأنهم أحرار ، لا يعلقون التقدم الحديث على وجود أجنبى يتحكم فى بلادهم (ص. ٢٦٣–٢٦٤).

أننى أفكر فى ذلك الرجل العجوز الذى أستند إلى شجرة تحت نافذتى وظل يسمع السيمفونية حتى نهايتها ، أفكر فى عبدالله سائق عربتى الذى لم يكن قد رأى فى حياته عملا فنياً واحداً والذى أخذ يرسم بحماسة رسماً كروكيا زاخراً بالحياة والفكاهة. أفكر فى ذلك الكهربائى الذى طلب من المهندس أن يصلح له جهاز الراديو وكاد يبكى قهراً وهو يقول « هل نحن حيوانات ، أننى أحاول إصلاح هذا الراديو منذ يومين وها أنتذا قد أصلحته فى دقائق . . أفكر فى تلك المرأة التى فحصتها بعد ولادة عسيرة والتى خرجت منها ببتر خطير لا يشفيه إلا سلسلة من العمليات أفكر فيها عندما سألتها عن عمرها فأجابت بعد أن نظرت إلى بخجل وحزن وغضب «لا أعرف كم عمرى . . أننا نعيش فى القرية كما تعيش البقرة ، أننا لا نعرف حتى أعمارنا . . . لقد جعلتها السليقة العميقة تقول نحن ولم تقل أنا . . هذا النور الداخلى لـ «أعرف نفسك» أذهلنى لحظة (ص) ٢٦٤ .

– جـــان جـــاك بيرنى ،

جزيرة العرب. منشورات المكتب التجارى بيروت ١٩٥٨ ترجمة نجدة هاجر وسعيد العز ،

جان جاك بيرنى أستاذ محاضر فى معهد الدراسات العليا للإدارة الإسلامية فى فرنسا. وهو أستاذ مختص فى شؤون الجزيرة والخليج العربى ، له كتب أخرى عن الإستعمار البريطانى

سلطان ناجي
مؤرخ ومُفكّر يمني
www.sultannagi.com

فى جنوب الجزيرة وعن اليمن. أما كتابه هذا فهو دراسة تحليلية شاملة لماضى هذه الديار وواقعها مدعومة بالمستندات التاريخية والبيانات الإحصائية ثم أنه «يشكل فى الواقع أول دراسة موضوعية كاملة باللغة الفرنسية عن مجموعة القضايا المطروحة فى الجزيرة العربية، كما يعتقد بيار روند مدير المركز».

يعالج الأستاذ بربى فى كتابه هذا أهم المشاكل الرئيسية التى تواجه هذه المنطقة. ويتكلم عن التواريخ المهمة التى كان لها تأثير على مستقبل هذه الأرض. فى عام ١٩٣٤ مثلا «تم تقريباً تقسيم المنطقة وتحديدها الحالى. فى هذا التاريخ أستطاع عبد العزيز بن سعود أن يحمل اليمن على ان تعترف بسيادته على عسير ونجران. كما أنتزع الإنجليز مستعمرة عدن من الامام قراراً بقبول الأوضاع الراهنة على حدوده الجنوبية (ص. ١٢٧–١٢٨).

«وفى عام ١٩٣٧ أشتد النزاع بين اليمنيين والإنجليز على أثر صدور القانون الملكى البريطانى الذى حدد ما أسماه الملك جورج الخامس (بمحمية عدن). وأرتفعت الإحتجاجات وأندلعت الإضطرابات . . وفى عام ١٩٣٨ بقيادة هاملتون ضابط الإستخبارات أحتلت القوات البريطانية وأخرى وطنية خاضعة للنفوذ البريطانى وتعمل لحساب التاج البريطانى منطقة شبوه التى تشكل الزاوية الشمالية الغربية للمستطيل الذى تألفت منه محمية عدن الشرقية. وقد ترك إحتجاج الإمام الشخصى على هذا "عمل صدى بعيداً» (ص. ١٣٩).

كل هذه التجارب جعلت اليمن كما يقول المؤلف تميل «إلى القبول ببعض الأحلاف وذلك للوصول إلى الهدف المنشود ألا وهو طرد البريطانيين من عدن والمحميات وهى جزء لا يتجزأ من المملكة الزيدية» (ص. ٦٦–٦٧).

كذلك نرى المؤلف يدافع عن عزلة اليمن، كما رأينا ذلك عند من سبقوه «الأجنبى كما يقول المثل اللاتينى القديم عدو. وفى مجتمع لم ير من الأجنبى سوى الجشع والطمع والرغبة فى الإحتلال والسيطرة لا يستغرب إذا أصبح الحذر غريزيا فى النفس ، بل لا يستغرب إيضا إذا دفع إلى أقفال الباب وتحريم البلد على أولئك الذين لا ينتظر منهم أى شئ حسن» (ص. ١٦٤) والأستاذ بربى يؤكد هذا أنه حتى البعثات التنقيبية عن الاثار كان لها أغراض أخرى. فهذه بعثة (وندل فيلبس) بعد أن قامت ببعض التنقيبات الأولية أضطرت لأن توقف أعمالها تاركة كل ما لديها من تجهيزات و ما ذلك إلا لأن السيد فيلبس (لم يكن يهتم بالاثار القديمة قدر إهتمامه بالبترول ص. ١٧٠).

أما عن الشعب اليمنى المظلوم فيقول المؤلف «وكما دلت على ذلك التجارب التى أجرتها (فيات) يعتبر ذكاء اليمنيين الفطرى مشابهاً وموازياً لذكاء أكثر الشعوب تطوراً. وهم فى بعض الأحيان مزودون برقة وليونة فى التفكير لانجارى.

– تـــوم هيكنبـــوتم ،

SIR TOM HEEKINBOTHAM
Aden (London 1958)

عرف السر توم هيكنبوتم فى عدن كمساعد شخصى للمقيم الإنجليزى ثم كسكرتير عام فرئيس لأمانة الميناء وأخيراً كحاكم لعدن والمحميات (١٩٥١–١٩٦٦). وقد الف كتابه

سلطان ناجي
مؤرخ ومفكر يمني
www.sultannagi.com

هذا بعد تقاعده فى لندن. وعالج فيه المواضيع التالية : لمحة تاريخية عن عدن، أمانة الميناء والمجلس التشريعى، والعلاقات اليمنية—الإنجليزية بعد ثورة ١٩٥٥. فى المستعمرة، العلاقات العمالية فى المستعمرة، الجاليات والأحزاب فى عدن، الأقليات والتطور السياسى فى المستعمرة.

فى أثناء الكلام عن أمانة الميناء والمجلس نراه يبدى إعجابه فى أكثر من مرة بالفقيد خان بهادر السيد محمد مكاوى الذى ذهب اليه أكثر من مرة مطالباً بزيادة تمثيل العرب فى مجلس إدارة الميناء. إلا أننا نرى أن المكاوى فى موضع آخر من الكتاب يهاجم أولئك الذين يطالبون بحق الإنتخابات ويدعوهم بالسخفاء لإعتقاده بأنهم سيسيئون إستعمال هذا الحق (ص. ٤٧). أما عن فتح عدن عام ١٨٣٩ فالسير هيكنبوتم يعتقد أن من السخف أن نصدق الرأى القائل أن سبب إحتلال عدن كان بمثابة إنتقام للسفينة المنهوبة (داريا دولت.) أن السبب الحقيقى كما يعتقده هو أن الإنجليز كانوا يبحثون عن ميناء لسفنهم. فبعد أن عجزوا عن أخذ عدن عن طريق المفاوضات لجأوا إلى إستعمال القوة (ص. ١٢—١٣).

وهذه بعض الاراء والأفكار التى وردت فى هذا الكتاب :

لقد ساءنى أن أعرف أن (أ. بس) قد تبرع بمليون جنيه لجامعة إكسفورد لإنشاء كلية جديدة فيها. لقد كان أجدر به أن يتبرع بهذا المبلغ لعدن محل تجارته (ص. ٣٣).

لم يكن إختيارنا أعضاء فى المجلس التشريعى يتم بسبب وعينا السياسى أو ذكائنا الوقاد وإنما كان يتم بسبب ولائنا للحكومة (ص. ٣٨).

حاول الزعماء المسلمون أن ينحوا باللائمة على اليمنيين فى التسبب فى اضطرابات عام ٤٧ ضد اليهود فى عدن. والحقيقة أن العمال اليمنيين هم المسؤولون عن هذه الإضطرابات (ص. ٨٧)

أنه من المؤسف أن طلاب الدين لا يقنعون بأعظم عمل إلا هو إيصال كلمة الله إلى المظلومين فى هذا العالم. الحقيقة أن أبهة الثروة والسلطة قد جذبتهم كما تجذب أى إنسان آخر اليها ص ٢٢—٢١ (أثناء كلامه عن آل الحفرى).

فى عام ١٩٥٦ عندما أخبر شريف بيحان أننا أتخذنا الإجراءآت فى إنزال قواتنا فى الأراضى المصرية، قيل أنه قال :

«الحمدلله أن العجوز (يعنى بريطانيا) قد أستفاقت أخيراً» والشريف حسين لا يحب ناصر ويسرنى أننى لم أكن معه لأسمع ما سيقوله عندما عرف أننا قد غادرنا الديار المصرية دون أنجاز مهمتنا. رحمتى لأولئك الذين زفوا اليه ذاك الخبر (ص. ١٢٩).

مهما كانت غلطات السلطان فضل عبد الكريم فإنه كان يتمتع باحترام وحب شعبه له حتى آخر فترة حكمه وبعدها. لقد أستمروا يلهجون بذكره لأنه كان يعاملهم بعدالة (ص. ١٣٣).

أنه لمن الحق أن نقول أنه إذا وجدت مجالس فى المحميات ، فانها تكون بارادة الحاكم وليس بارادة الشعب (ص. ٦٢).

ان المعارضين أدانوا مشروع الإتحاد لا لسبب إلا أنه لأنه مشروع بريطانى (ص. ١٦٨).

سلطان ناجي
مؤرخ ومفكر يمني
www.sultannagi.com

عندما جاء وفد الجامعة العربية لتفقد الإشتباكات فى الحدود عام ١٩٥٤ مر فى عدن خلال عودته وقد قلت لأعضاء الوفد أننى لا أفهم لماذا يهاجمون إتحاد الإمارات مع أن سياستهم تؤيد الإتحاد العام للبلدان العربية (ص. ١٦٩).

عندما جئت إلى المستعمرة فى الثلاثينات من هذا القرن كانت حالة العمال العرب مخزية. كانت أجورهم لا تسمح لهم بتوفير شئ للشيخوخة أو للمرض. ولم تكن تعطى لهم عطل مدفوعة وكان عليهم أن يوفروا لأنفسهم السكن ومعظمهم لم يكن يعتنى بهم صحياً. ولم توجد أية علاقات صناعية كما نفهمها، بين العمال وأرباب الأعمال أو أى نوع من التشاور. لقد كانت سلطة أرباب الأعمال مطلقة (ص. ١٨٣).

– أريك بـتمان ،

ERICH. W. BETTMAN
Yemen on the threshold. Kohunur Series No. 3
American friends of the Middle East, Washington D.C. 1960

هذا الكتاب عبارة عن وصف رحلة قام بها المؤلف إلى اليمن فى أول الستينات. وهو على الإجمال لايساوى إسمه الطنان الذى يوحى للقارئ وكأنه دراسة لسبل التقدم والتخلف فى اليمن. كانت الزيارة قد بدأت فى عدن وأنتهت فى صنعاء وتمت عن طريق تعز–٢١. وقد قام المؤلف بالرحلة بالسيارة، لذا نجده يكثر من وصف الطريق الذى سلكه. ووجهة نظر الرحالة الأمريكى عن اليمن فيها تفهم للأوضاع ومحاولة لإستبدالها بأحسن منها. فاليمن كما يعتقد تحتاج إلى مساعدة غير أنانية وإرشادات حكيمة فى هذة الفترة الإنتقالية وليس إلى رأسماليين جشعين أو سياسيين ينشدون السلطة من أى خدمة يقدمونها (ص. ٧٢).

ويلاحظ أن المؤلف كان مهتما بدراسة ومعرفة الشئون الدينية الإسلامية فهو يسجل ما يدور بينه وبين علماء اليمن أو مسئوليها الكبار فى هذا الشأن. وقد أستغرب أكثر من مرة عندما وجد أن الكثيرين من رجال الدين الذين ناقشهم يحيطون بالكثير من العلوم العقلية الحديثه كالفلسفة والنظريات الحديثة فى الوجود. فها هو أحدهم (القاضى إبراهيم الحضرانى) يدرج فى كلامه أقوالا واراء لروسو وهيجل وشوبنهاور (ص. ٤٨–٥٤).

أما القاضى أحمد السياغى فيقول للمؤلف «أن الشيوعية ضد كل ما نعتقد فيه، فهى ليست بقوة حتى نستطيع أن نحاربها بقوة ظاهرة مثلها . أن الشيوعية تثير الأبناء ضد الآباء والبنات ضد الأمهات ولذلك لا نستطيع أن نتغلب عليها إلا بواسطة قوة روحية أكبر منها» ص. ٢٥–٢٦ .

أما المشاكل التى تواجه اليمن فهى أثنتان بالنسبة له. الأولى وتتعلق بالتقسيم الموجود على أساس طائفى وهو يلوم الجيل اليمنى من محاولته تجاهل مثل هذا الإختلاف والتقسيم والصاق التهمة بالنفوذ الأجنبى فى إيجاد وتعميق هذا الإختلاف. ويقول المؤلف أن الإختلاف موجود وتشهد بذلك القرائن والوقائع التاريخية عبر القرون وأن الطريقة الصحيحة لمعالجة هذه المشكلة ليست عن طريق التهوين بها أو تجاهلها (ص. ١٢–١٣).

سلطان ناجي
مؤرخ ومفكر يمني
www.sultannagi.com

أما المشكلة الثانية فهى فيما يتعلق بعدن والإمارات وعلاقة اليمن بالإنجليز. يقول المؤلف ويجب أن نؤكد هنا أن محميات عدن كانت أيام إحتلال الإنجليز لعدن تابعة لليمن جغرافيا وعرفيا. لقد كانت اليمن تحت سلطة الدولة العثمانية وكان شيوخ ورؤساء الإمارات شبه مستقلين بالرغم أنهم تابعون لليمن أسميا (ص. ٦٩).

أما عن علاقة الإنجليز فهى كالعادة متوترة. وينقل المؤلف بعض ما دار بينه وبين رجال القبائل «لو كان الإنجليز يحاربوننا برجال أمثالنا وجهاً لوجه لكنا أعتبرنا هذه الحروب حروباً شريفة حتى لو خسرنا فى المعركة، مع أن ذلك بعيد الإحتمال، أما أن تستعمل الطائرات ضدنا ونحن عزل منها فهذا منتهى الجبن. لا شك أن الله سيعاقبهم على أفعالهم هذه وأن أمامنا سيجعل طائراتهم دون فائدة». (ص. ١).

– السير بسرنسارد رايلى ،

SIR BERNARD REILLY
Aden and Yemen. H.M. Stationary Office, 1960

السر برنارد رايلى كان حاكما لعدن قبل الحرب العالمية الثانية وقد قضى فترة طويلة من حياته فى عدن وأصبح أشهر حاكم إنجليزى فى عدن. وقد أستمروا يستمعون إلى مشورته بالنسبة لهذه المنطقة فى وزارة المستعمرات إلى وقت قريب قبل أن يموت. وقد جاء إلى عدن قبل سنوات ليرأس لجنة تحقيق منع القات التى أدت تحقيقاتها إلى رفع المنع. وتجده دائماً يكتب المقدمات للكتب الغربية حول هذه المنطقة، وإسمه كثيراً ما يتردد فى صفحات الكثير من الكتب عن هذه المنطقة.

وكتابه هذا (عدن واليمن) هو عبارة عن دراسة رسمية للعلاقات الإنجليزية اليمنية. وهو قيم بالرغم من صغر حجمه وهادئ فى أحكامه. إلا أنه يمثل جانباً واحداً من الموضوع. وفيه النص الكامل لمعاهدة صنعاء ١٩٣٤ وملخص لأهم ما جاء فيما يتعلق بمعاهدة ١٩٥١ بين بريطانيا واليمن. ومما يذكر أن السر رايلى كان الموقع عن الجانب البريطانى فى معاهدة صنعاء وقد نال لذلك الألقاب الكبيرة . يقول رايلى أن حكومة اليمن لم ترض بالتطورات الأخيرة التى حدثت فى الإمارات لأنها تعتبرها مناقضة للمادة فى تلك المعاهدة التى تقول أن الحدود تبقى كما هى عليه حتى بعد أن تمضى سنة (١٩٧٤). فهى تفسر الحدود بمعنى الأراضى الواسعة غير المحدودة. فالصيغة جاءت بالجمع وليست بالمفرد (حد) ولفظة (حدود) تختلف عن لفظة (حد). ويعتبر رايلى أن إرتقاء الإمام أحمد إلى العرش كان بداية للعلاقات المتوترة بين البلدين وأنه لم يحافظ على روح معاهدة صنعاء.

أما عن المستعمرة. فهو يقول أن اللجنة التى كونت عام ١٩٥٦ للنظر فى المسائل والإضرابات العمالية وجدت فى تحقيقاتها أن هناك أسباباً صناعية شرعية لتلك الإضطرابات (ص. ٤٤). أما عن موجة القنابل التى أجتاحت المستعمرة فى اواخر الخمسينات فبالرغم من الإعتقاد أنه كان لليمن ضلع فى الموضوع إلا أنه لم توجد الأدلـــة على ذلك.

للبحث صلـــة